١٧ أكتوبر وعقد الياسمين

اســـــم الكتـــــاب: ١٧ أكتــوبر وعقــد الياســمين
التــأليـــــــــــف: إبـــراهيم حيـــدر الشــاوي
نـــــوع العمـــــل: روايـــــــــــــــــــــة
مراجعـة وإخـراج فنـي: ســالم عبـدالمعز (عمـرو سـواح)
رقـــــم الإيـــــداع: 2829 /2021
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-835-235-1
الناشـــــــــــــر: دار زحمة كتاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook
za7ma-kotab@hotmail.com Email
002 01205100596 Tel
002 01100662595

١٧ أكتوبر وعقد الياسمين

رواية

إبراهيم حيدر الشاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من ألهمني لكتابة هذه الرواية.

إلى ذلك الشاب الجميل الذي يتطلع للعودة إلى بلده من المعاناة التي فرضها القدر عليه.

إلى أحلامي التي أتمنى تحقيقها في وطني.

إلى أمثالي من الشباب الذين يبحثون عن وطن.

إلى كل من لديه حلم ويبحث عن السعادة الحقيقية.

إلى طيري الذي أفتقده مجبرًا.

إلى سيارتي وكراستي ومدرستي.

إلى ذلك البيت الجميل الذي لا أتذكر إلا عتبة بابه.

إلى شجرة الياسمين التي كنت وما زلت أحلم بشذى عطرها في أنفي.

أهدي روايتي هذه إلى كل من أحبهم ويحبونني، ويتذكرون ذلك الطفل الصغير، وشعره الأسود الطويل.

❊❊❊❊❊

مُقَدِّمَة

"١٧ أكتوبر وعقد الياسمين" هي رواية تدور حول حياة جندي عراقي مسيحي يدعى "سرجون"، والذي تزوج من "صوفيا" في تاريـخ ١٧ أكتوبر لعام ٢٠١٣.

تدور أحداث هذه الرواية في فترة إرهاب (داعش) في منطقة الموصل. في رحلة للبطل ما بين شمال العراق وتركيا حيث ترتبط أحداثها ما بين الخيال والواقع، لتتدرج الأحداث، وتعود بنا إلى حقب زمنية ماضية، حيث قصة الحب والارتباط بين جد سرجون "عثمان" وحبيبته "آمنة"، وعقد الياسمين الذي خلد حبهما.

*****

بينما كان سرجون هاربًا من جحافل العدو في مدينة الحدباء، يمضي ويترقب، رأى من بعيدٍ اثنين من الجنود التابعين للعدو! فتراجع عنهما قليلًا نحو الغابة المجاورة، واختبأ خلف إحدى أشجار الجوز الكبير القديمة، والتي يوحي شكلها بأن عمرها قد تجاوز عشرات السنين.

اقترب من مكانه الجنديان اللذان كانا يمزحان كثيرًا، وأصوات ضحكاتهما كان يسمعها بأذنيه لأنها قريبة جدًّا منه! لقد تمكن منه الخوف، وسكن بين أحداقه القلق، ليضع كفيه على فمه، وكأنه يلملم بعض أنفاسه!

كان يتمتم بصلواته المسيحية، ويقول لنفسه مخاطبًا ربه: "يا ألله أنقذني هذه المرة لأجل صوفيا وابني يوسف، يا ألله أعلم أنني قد أخطأت كثيرًا، ولكنني سوف أكون رجلًا صالحًا إذا ما أنقذتني من هؤلاء".

وفي أثناء دعواته وابتهالته كانا يقتربان منه أكثر فأكثر.

وفي أثناء ذلك كانت الغابة تزخر بالكثير من الطيور والفراشات، والجو كان غائمًا تتخلله أمطار خفيفة.

ورغم هذا المنظر الجميل إلا أن أصوات الطائرات الحربية كانت ترتفع فوق الغابة، وكانت تقترب منه أيضًا أصوات الدبابات وعربات الجنود! وهو في تلك الظروف القاسية لم يكن يحمل معه سوى مسدس صغير فيه بعض الطلقات النارية، إضافة إلى صورة زوجته وابنه يوسف.

استعرض شيئًا من شريط حياته في تلك اللحظات الصعبة، فاستحضر احتفاله مع زوجته صوفيا بمولد ابنهما يوسف، وتذكر عندما جلب له الألعاب، وجلب لها قلادة جميلة تحمل تاريخ ارتباطه بها، حيث كانت مصاغة من معدن الفضة، وتشبه العملة النقدية. وكانت منقسمة إلى نصفين؛ نصف عنده، ونصف عندها، وقد كتب على كل نصف اسمه "سرجون"، والآخر اسمها "صوفيا" وتاريخ الزواج أكتوبر، ٢٠١٣/١٠/١٧ ميلاديًّا.

في تلك اللحظات التي سافر بها نحو مخيلته الجميلة، شعر بالأمان وهو يمسك بقلادة زواجه، وتذكر صوفيا التي احتفظت بالقلادة في صندوق مجوهراتها الثمينة.

وفي خضم تلك اللحظات الجميلة شق صوت الطائرة المدوي سكونه، فاستيقظ على الواقع المرير الذي يعيشه في تلك اللحظات.

وعندما نظر من خلف تلك الشجرة العجوز وجد الجنود ما زالوا في أماكنهم! ولكنهم لم ينتبهوا لوجوده حتى ذلك الوقت.

كان خلف تلك الغابة الكثيفة جبلٌ مرتفعٌ وتضاريسه وعرة، نظر إليه، ووجد بأن عطشه يدفعه دفعًا نحو التحرك والبحث عن الماء، حتى لو سبب ذلك فضح أمره. فبدأ بالتحرك شيئًا فشيئًا حتى وجد عينًا تبرق مياهها الصافية تحت جنح الظلام، فتنفس الصعداء رغم تيبس حلقه خوفًا، وعطشًا، وجوعًا.

ومن محاسن الصدف أنه كان يحمل معه حافظة ماء صغيرة تسمى عند أهل العراق "زمزمية"، فملأها بالماء، وشرب حتى تضَلَّعَ وارتوى، وعادت له الحياة.

ابتعد بمسافة أطول عن جنود العدو الذين يتربصون به السوء والقتل!

وبدافع الجوع أيضًا وجد طيرًا بعد محاولات من البحث، ولكنه كان بحاجة ماسة إلى إشعال نار لطهيه، وتم ذلك، إذ استغل بعض الأشجار الكثيفة، وأشعل خلفها نارًا صغيرة لكي لا يراه أحد.

وبعد أن شرب الماء، وتناول الطعام، شعر بأنه في حاجة ماسة للنوم، ولكنه أول ما وضع رأسه على الأرض، وهيأ نفسه للمنام هطلت المطار؛ فبدأ يبحث عن مكانٍ مناسب، فوجد كهفًا في سفح الجبل المجاور، اقترب منه بكل تردد ووجل وقلق، وعندما دخل إلى الكهف، استلقى في مكان مناسب للنوم واضعًا سترته كوسادة تحت رأسه. ولأنها المرة الأولى التي ينام فيها داخل كهف، فلقد داهمه التوتر جدًّا فكان بسكينه يحث الأرض، حتى شعر بشيء ما فأوقد النار بواسطة (الولاعة)، أو (القداحة) كما تسمى في العراق، ليرى نقشًا هندسيًّا مربعًا تتوسطه عقرب قد رفعت ذنبها إلى الأعلى!

تذكر حينها جده حينما كان يحدثه عن بعض كنوز الحضارات القديمة والعريقة في أرض الرافدين المجيدة.

وبينما هو كذلك داهمه النعاس، وأخذه النوم خلسة ليمضي في رحلة نومٍ عميقٍ لم يوقظه منه سوى شعاع الشمس الذي تسلل إلى جانبٍ من الكهف. ولكنه كان مضطرًّا إلى أن يبقى داخله، أو بجواره لكي لا يراه رجال الشرطة.

وبينما هو سارح في أفكاره عاد النسر إلى عشه - القريب منه - ليطعم صغاره!

لقد شكل ذلك النقش القديم الذي رآه قبل منامه في الكهف حافزًا له لكي يشرع في الحفر لعله يجد شيئًا، وقد كان!

ففي بدايات الحفر الأولى وجد ثلاث قرب، وبعد أن أخرجها ونفض الغبار عنها وجد في القربة الأولى: عملة نقدية ذهبية!

ووجد في الثانية: لفائفَ من الجلد مدورة الشكل!

ووجد في الثالثة: لوحًا مكتوب عليه بعض الطلاسم التي لم يستطع قراءتها.

حاول فك اللفائف التي وجدها في القربة الثانية إلا أنه لم يستطع فك سوى لفافة واحدة، ليجد فيها قطعًا من الجلد مكتوب عليها كتابات قديمة لم يفهمها!

وضع كل شيء وجده في جيوبه، وقضى طوال يومه قرب الكهف قلقًا متربصًا جميع المخاطر التي تحدق به!

كان يأكل ما يجده في الغابة من تمر وثمار، بعضها ناضج، وبعضها غير ذلك، حتى داهمه الليل لينام.

وفي أثناء نومه رأى رؤيا شاهد فيها شخصًا شكله غريب؛ فهو بحجمٍ صغيرٍ جدًّا وكأنه ربع إنسان! وكان يحدثه بصوتٍ مرعب، ويقول له: انهض فمصير العالم بين يديك!!

ولم يكتفِ بمرة واحدة؛ إذ كررها عليه ثلاثًا مؤكدًا له بأنه شاب حيوي، وكاشفًا له بأن إكسير الشباب حوله موجود في تلك العبارات المكتوبة بلغة قديمة، ناصحًا له بأن يقرأها جيدًا.

وبين له في الحلم أيضًا بأنه يحمل معه أسرار المستقبل في تلك اللفائف الجلدية لمائة عام قادمة، مؤكدًا له بأنه إذا فتحها سيعرف ماذا يجري في العالم!

كان سرجون مذهولًا وهو يتابع أحداث هذا الحلم! حاول أن يسأله عما ورد في الحلم، ولكنه تلاشى واختفى!! لينهض فزعًا من حلمه، ويخرج اللوح الصغير منطلقًا في محاولة القراءة.

شعر وكأن الكتابة تترجم أمامه! وكأنه يسمع صوتًا يأمره بالذهاب إلى بلد الغرائب وتحديدًا إلى منطقة الأمل! وهناك سوف يجد رجلًا كبيرًا في خربة قديمة، وسيعطيه الرجل شرابَ العنب المعتق القديم، والذي ورثه من أجداده قبل مئات السنين! وأكد عليه بأنه ما إن يفتح قارورة العنب يشربها فورًا لكي لا يذهب مفعولها!

واصل إصغاءه لذلك الهاتف الخفي، الذي قال له أيضا: إن ذاك الرجل المسن سيفسر له كل تلك العبارات الموجودة في اللفائف الجلدية إلا أنه عالِمٌ في الجيولوجيا وعلم الفلك.

وأكد له بأن اللوح الذي في يديه يحمل رموزًا تتضمن رقم الشارع، والحي، والدار! قائلًا له: "لقد رفع الغطاء عنك، ألقِ نظرة على الحروف"، وعندما مد لها بصره وجدها تحولت إلى اللغة التي يتقنها! وإلى الأرقام التي يعرفها! ليعرف حينها عنوان الرجل العجوز بشكل واضح.

خرج النسر قبله من الكهف ليحلق عاليًا في السماء، ثم خرج سرجون بعده، وقد حمل معه كل ما وجده، ناشدًا الخلاص من الحالة التي هو فيها.

تذكر حينها كيف اقتحم الأشرار منزل أهله أثناء جلبه للماء، وعندما عاد إلى المنزل وجدهم قد أطلقوا النار على أبيه وإخوته وأردوهم جثثًا هامدة!!

ومن هول الصدمة قفز على آخرهم وضربه بدلو الماء، وقتله، وغنم سلاحه وهرب.

وكان يشعر حينها بالغرابة! فهو لم يقتل نملة فكيف قتل بشرًا سويا، ولكنه كان يُطمْئن نفسه بأنه قتله دفاعًا عن نفسه، وانتقامًا لقتل أهله.

أسبلت تلك الذكريات دموعه، ولكنه منّى نفسه بمستقبل أفضل، فدعا ربه، وواصل سيره متوغلًا في أدغال الغابة، ووسط حقول الذرة وجد سيارة تنقل بعض الخشب والصناديق والقش، فلوح لها بيديه.

وعندما توقفت السيارة سأله سائقها الذي كان في منتصف العمر أشعث الشعر، وأحمر البشرة عن وجهته التي يريد.

فرد عليه سرجون بأنه يريد الذهاب خارج الحدود!

فسأله السائق عن جواز السفر.

فرد عليه بأنه لا يحمله معه! ولكنه وضّح له بأنه يستطيع الاختباء تحت حمولة المركبة.

فوافق الرجل بشرط أن يمنحه سعرًا مناسبًا، فتذكر العملة الذهبية التي كان يحملها معه. ورغم استغرابه من نوعية العملة وافق السائق، وبدأت الرحلة في طريقٍ وعرة.

كان سرجون في أثناء ذلك متوترًا من فشل العملية والقبض عليه، حتى لاحظ السائق ذلك فسأله عن السبب.

ليجيبه بأنه يشعر ببعض التعب!

فبادر السائق بسؤال آخر عن سبب وجوده في غابة نائية.

وحينها استجمع سرجون تفكيره لكي يجيب الرجل بإجابة مقنعة، خصوصًا أنه شك في إمكانية أن يكون السائق منتميًا لجماعات متطرفة! ولذلك أجابه بسؤاله عن وقت الوصول للحدود.

فرد عليه بأنهم سوف يتأخرون بعض الوقت لأنه سيسلك طريقًا آخر لا يعرفه الكثير!

عندها قلق سرجون، وبادره بسؤال: هل يمتلك جواز سفر أم لا.

فرد عليه بأنه لا يملك جواز سفر؛ لأنه يعمل في تجارة الأسلحة التي كان يأتي بها من تركيا إلى العراق، مستعينا في ذلك بأفراد من كردستان العراق.

وبينما كان سرجون يتأمل الطريق الوعر جدًّا فتح السائق كيسًا وأخرج منه بعض العصائر والسندويتشات، ولاحظ السائق أن سرجون كان يأكل بنهم!! فعلق عليه بأنه لا يسابقه أحد، وبإمكانه الأكل ببطء!

شعر سرجون بالخجل ولكي يبدده طلب منه تشغيل الراديو للتسلية، وفي أثناء استمتاعهما بأغاني المغني التركي "إبراهيم تاتلس"، تذكر زوجته صوفيا عندما كان يستمتع بصوته معها.

ومع نغمات الموسيقى الجميلة سافر بخيالاته بعيدًا حينما تذكر لقاءه الأول بها في رحلة سياحية في إسطنبول، ووسط مياه البوسفور الزرقاء الصافية التي كانت تشبه عينيها لتسلب قلبه من اللحظة الأولى.

فتقدم لخطبتها من أبويها اللذيْن كانا معها على ظهر السفينة! واللذين استغربا من سرعته في القرار! حيث لم يعرفاه إلا قبل ساعة واحدة فقط!

فرد عليهما بأنه حينما تشرق شمس النصيب فلا شيء يمنعها.

تذكر حينما تواصل معهما بعدها، وحينما تمت مراسم الزواج على الطريقة التركية بكل سهولة، ودون شروط معقدة.

ولكنه عاد للواقع بنهاية الأغاني التركية! ليخبره السائق بأنهما دخلا إلى الأراضي التركية، واتضح له أنهما اقتربا من القرى التي ينشدها، بعد أن مر في طريقه على ١٧ قرية عراقية.

وقد لفت نظره بعض الأشخاص الذين كانوا يحملون قطعًا مختلفة من الأسلحة، وعندما سأل السائق طمأنه بأنه يعرفهم، فهم أفراد من حزب العمال الكردستاني سواء كانوا على الأرض، أم في الطائرات.

كان سرجون يتأمل ملامح الطريق، ويرى القرى على جوانبه، وينظر إلى رعاة الأغنام والأشجار الوافرة، لقد رأى كل شيء حتى ناقلة البترول عند اقترابهما من معبر إبراهيم الخليل الحدودي، حيث سلكا طريقًا آخر غير رسمي لكي لا يراهما رجال الشرطة.

وعندما دخل إلى تركيا تنفس الصعداء فرحًا واستبشارًا، وضرب كفه بكف السائق كتعبير عن سعادته بالوصول إلى "ديار بكر" وهي "كردستان" تركيا التي يقطنها خليط من (القوقاز والأرمن والأكراد)، وقليل من العرب، وبعض (الكلدان والأتراك).

واصل المسيرة حتى وصل إلى الطريق المؤدية إلى "غازي عنتاب" حيث ترجَّل من السيارة، وشكر السائق كثيرًا، ومضى في طريقه!

لم تكن تركيا غريبة عليه، فهو يتقن لغتها جيدًا، فأمه تركمانية عراقية.

وفي طريقه رأى رجلًا مسنًّا يرتدي الزي التركي التقليدي، فسأله عن محطة الحافلات، وصعد إلى الحافلة التي لم تكن كبيرة حيث تستوعب اثني عشر راكبًا فقط، وفي أثناء الرحلة نام قليلًا ليوقظه أحد الركاب عند وصولهم إلى "غازي عنتاب".

ثم قرر بعد ذلك الذهاب إلى كنيسة (فوكاني) في حي (شيحلر) في منطقة (نزيب)، وهي كنيسة قديمة عمرها يقارب أربع مائة عام، حيث صلى فيها، وأقام بعض الطقوس المسيحية.

وانطلق بعد ذلك باحثًا عن القلعة التي يسكنها الناسك الذي شاهده في نومه الذي كان في الكهف، تلك الرؤيا التي جعلته يشعر بالطمأنينة كلما تذكرها!

ثم تذكر أخويه يوسف وهارون اللذيْن وأدهما أشرار التطرف في مقتبل حياتهما!

وتذكر أيضًا أمه التي كانت مواظبة على الصلاة، وتطلب من الله السعادة، والقدر الجميل له ولإخوته.

لقد سافر بذكرياته بعيدًا حينما لاحت له ذكريات أبيه في الآفاق، أبوه الذي كان يعمل في مهنة النجارة، وكان يصطحبه معه

في طفولته إلى ورشته الصغيرة حيث كان يساعده بكل شغف، فتعلم منه نجارة الكراسي والأرائك. وكان أبوه هو من نجر له غرفة نومه في بيت الزوجية، ولذلك كان كلما نام مع زوجته صوفيا على السرير دعا لوالده.

وفي عمق الذكريات الجميلة استيقظت في أعماقه الذكريات الحزينة، حينما تذكر الأوغاد الذين أسدلوا الستار على سعادته وسعادة أسرته! وقلبوا حياتهم رأسًا على عقب! ويتنهد حينها طويلًا داعيًا عليهم بالهلاك.

شعر بالاختناق وهو يتذكر أهله ومدينته الصغيرة، مضى قدمًا بخطوات ثقيلة، وأنفاس متعبة في شوارع "غازي عنتاب"، حيث وجد الكثير من العرب السوريين؛ حيث أصبحت المدينة تلك الحدودية نسخة من مدينة حلب السورية في أسواقها، وشوارعها، وتجّارها وتجار حلب يشتركون في طريق الحرير التجاري.

كان وصوله إلى الحدائق المجاورة للقلعة قبيل غروب الشمس، ودخل إلى القلعة التي كانت الإضاءة فيها شبه منعدمة! ووجد غرفة صغيرة مظلمة تشتعل في داخلها شمعة! ولمح فيها رجلًا عندما تفحص النظر في ملامحه وجده ذات الرجل الذي رآه في المنام! حيث كان هو الكاهن الروسي (راسبوتن) الذي حدثه عنه جده في الطفولة! فكان يروي له عنه قصصًا لا يستوعبها العقل! منها أنه فتن النساء في زمانه، وتلقى أربع رصاصات، وسم من الأسرة الحاكمة، ولكنه رغم كل ذلك لم يمت! واختفى من روسيا

بعد أن أُلقيَ في المياه المتجمدة في "سيبيريا" ولكنه نجا! رغم أنه ظل في غيبوبة لفترة طويلة، ولكنه بعد استيقاظه ونجاته من كل تلك المشاكل أصبحت لديه قوى ربانية خارقة في الشفاء!

كان معنى اسمه (رابوستين) الفاجر، وذلك بسبب علاقاته الجنسية الفاضحة! حيث كان ضخم الجسم، وعريض الصدر، وله ذراعان قويتان جعلت الإناث تنجذب إليه بمجرد نظرة واحدة من عينيه التي تخترق أعماقهن فينجذبن إليه. حتى إن الرجال كانوا لا يستطيعون التحديق في عيونه طويلًا فينحون رؤوسهم أمام تلك القوة الخفية التي تشع من عينيه!

وحينما بلغ (رابوستين) الثلاثين من عمره كان قد تزوج وأصبح أبًا لأربعة أطفال، ولكن كان لديه ولع كبير بالخمر، وسرقة الجياد التي كانت - وللغرابة - سببًا في تحوله حينما اتهموه بسرقة حصان! فاضطر للهروب من القرية، وسكن في أحد الأديرة النائية، واتخذ صفة الرهبانية التي ألزمته بعد ذلك طيلة حياته.

ثم رحل عن قريته، وأصبح مسافرًا سائحًا في الكون، وخلال رحلته لم يغتسل أو يبدل ملابسه لفترات طويلة! وكان يرتدي قيودًا حديدية ساعدته لكسب بعض الأنصار خصوصًا من ذوي النفوذ!

ليجد نفسه قد أصبح تحت تأثير طائفة غير شرعية تعرف باسم (خليستي) تعمل في الممارسات الجنسية الشاذة!

ووصل به الأمر إلى أنه أصبح يؤمن أن الفرد إذا ارتكب بتعمد ذنبًا يكون أكثر قربا من الله بشرط أن يتوب لله توبة نصوحًا.

حتى إنه ادعى في إحدى المناسبات أن السيدة مريم العذراء ظهرت له! وحثته على مساعدة العائلة الملكية الحاكمة في (سان بطرسبورغ)! وهذا ما جعله يكوّن علاقات مع أعلى طبقات المجتمع.

وسرعان ما تكونت صورته في موسكو على أنه مرشد روحي أو رجل مقدس، وترك انطباعًا لدى الإمبراطورة (أليكساندرا) إذ اقتنعت تمامًا بقدرته على انقطاع النزيف الذي أصاب (أليكس) وريث عرش روسيا المصاب بمرض سيلان الدم المزمن.

لقد أصبح مستشارها الشخصي المؤتمن على أسرارها، ويزورها في القصر في وقتٍ محددٍ من كل أسبوع، حيث بزغ نجمه في روسيا، وكثر أعداؤه، فأصبح البعض من خارج حدود القصر يراه يحيا حياة الخمر والعربدة والدعارة! ولذلك وشوا به للبلاط الملكي الذي قام بتكليف شرطة سرية لتعقبه.

وبذلك كان محاصرًا بالخطر من كل مكان! لدرجة أن البعض حاول قتله، وبالفعل فلقد طعنته إحدى العاهرات في خاصرته، وأثناء علاجه نشبت الحرب العالمية، وجلبت نكبة كبيرة على بلده.

ولقد كتب (راسبوتين) للإمبراطور رسالة حذره فيها من القتل، وتنبأ له بأنه إذا قُتل أي شخص من أفراد العائلة فلن يبقَى أي منهم خلال عامين! ولكن إذا قتل أحد من أفراد الشعب فسوف يطول حكمه!

تمت دعوته بعد ذلك للقصر بحجة أن (إيلينا) أجمل امرأة في البلد تريد مقابلته، وبينما كان ينتظر لقاءها قدم له أحدهم كعكًا وشرابًا فيه سمّ يكفي لقتل عشرة أشخاص!

ولم يكتفوا بذلك إذ دخل أحد الأمراء وأطلق النار عليه وظن أنه مات، وعندما اقترب منه ليتأكد من ذلك أطبق عليه الشيطان حتى كاد أن يؤدي بحياته، لولا أن أحد حراسه سمع صراخه، ودخل وأطلق النار مجددًا على (رابوستين)، ثم رموه في البحر لكنه لم يمت! وظهر قرينه في قلعة "غازي عنتاب"!

وهذا القرين هو الذي التقى به سرجون في إحدى غرف القلعة، فسلم عليه وجلس بجواره ليتحدث سرجون عن اللفائف التي وجدها في الكهف، وعن الرؤيا التي شاهدها في منامه، وعن دورها في مجيئه للكاهن بعد وصية الرجل له في المنام.

وبعد أن رأى الكاهن تلك الطلاسم واللوح المحفور باللغة القديمة التي جاء بها سرجون، أخبره أنه يملك في يديه إكسير الشباب!

فتساءل سرجون عن كيفية ذلك.

فرد عليه الكاهن بأن لديه شراب العنب المعتق وعمره مئات السنين، وبأنه سوف يقرأ هذه الطلاسم على ذلك الشراب ويجب أن يشربه كله!

فكر حينها سرجون في تلك المفاجأة، وأخذ وقتًا للتفكير في الأمر، فقال له الكاهن:

- لا تخف يا بني، سوف يطول عمرك، وتبقى شابًّا للأبد.

وبعد أن شعر الكاهن بارتياح سرجون لتلك الخطوة، نهض وفتح صندوقًا قديمًا في زاوية الغرفة، وأخرج منه كيسًا من القماش القديم، فيه قارورة من الزجاج تحتوي على شراب أحمر اللون. ثم رفعها، وفتحها وبدأ يتلو الطلاسم على ذلك الشراب، ويكرر نفس الجملة عدة مرات، ثلاث مرات كرر نفس العبارة.. ثم أعطاها لسرجون وشربها كاملة بشكل متقطع. ثم أخرج ما تبقى من صفائح الجلد، حيث شرع الكاهن في قراءة الطلاسم بصوت مرتفع، وكررها عدة مرات وذكر اسم سرجون عند قراءة الطلاسم، وبعد أن أكمل القراءة أخبره بأنه سوف تظهر له بعض الإشارات عن المستقبل القريب والبعيد للأمم، ولكنه سوف يفقد جزءًا من ذاكرته.

وعندما عرف سرجون ذلك اعترض، ولكن الكاهن قال له:

- "قضي الأمر".

فبكى بسبب ذلك سرجون على حظه السيئ، فلم يعد يتذكر إلا اسمه، وأشياء قليلة أخرى.

خرج سرجون متوترًا من القلعة يبحث عن ذاكرته في شوارع المدينة، ليعرف بصعوبة أنه في "غازي عنتاب"، وعندما فتش جيبه وجد القطع الذهبية، فاطمأن أكثر فأكثر على ذاكرته.

وذهب إلى محل الذهب وباع جنيهات منها، وبدأ يخطط للذهاب إلى إسطنبول كأكبر مدينة اقتصادية في تركيا، حيث اشترى تذكرة القطار، وحقيبة صغيرة وضع فيها بعض أغراضه الشخصية، والاحتياجات الضرورية من الملبس، وشفرات الحلقة، وفرشاة الأسنان.

واشترى هاتفًا ثم ركب في القطار واستقله نحو إسطنبول التي وصلها بعد ساعات، وكأنه وصل إلى مدينة الحلم.

كانت إسطنبول صاخبةً ومزدحمةً، ومليئةً بالجنسيات المختلفة، واللغات المتعددة، بدت منارات مساجدها مدهشة الجمال، وكأن تاريخها القديم العريق يتحدث.

وما أجمل (البوسفور) حينما يشقها بجماله الساحر!

وما أروع الجسر المدهش الذي يحلق فوقه بروعة متناهية!

وما أروع أسواقها الشعبية الرائعة مثل (جراند بزار)، وهو سوق السلاطين الذي يجد فيه قاصده كل ما يريد!

استأجر شقةً صغيرةً قريبةً من شارع الاستقلال، ومن بعض المعالم السياحية، وبدأ يقرأ في الإنترنت عنها؛ لأنه قرر العيش طويلًا فيها.

استجمع قوى ذاكرته باحثًا بين أعماقها عن أهله وأسرته، خصوصًا أنه فقد جزءًا منها بعد لقائه بالكاهن.

كانت شقته في الطابق الرابع من ذلك المبنى القديم، وهي عبارة عن غرفة واحدة، ومطبخ صغير وحمام بإطلالة جميلة على شارع حيوي وصاخب. لذلك فقد كان ينهض من نومه على أصوات السيارات، وجلبة الأشخاص لأن الكل يعمل في عربات (الكستنا واكواز) الذرة المشوية التي جعلت رائحة الشوي تسكن أنفه! حتى عانى من عطاس شديد.

كان سرجون يتناول إفطاره في مطعمٍ قريبٍ من منزله، وفي ذهابه وعودته لاحظ رجلًا كبيرًا معه فتاة شقراء في منتصف العشرينيات، وكان الرجل يتكئ على عصاه، ويتحدث معها وكأنها بنته. وعندما رآه سارحًا فيهما، ناداه المسن، وبعد أن رحب به، قال له باللغة التركية (اوتور) يعني بها أن عليه الجلوس بجواره، وجلس سرجون وناوله القهوة التي يريد، ثم سأله المسن عن سبب ارتياده للمطعم منذ فترة.

فرد عليه بأنه ارتاح فيه.

كان سرجون سعيدًا بالحديث معهما خصوصا سوزي الفتاة التي ترافق المسن، والتي كانت جميلة وهادئة، وصوتها عذب يشبه صوت الموسيقى الجميلة، والتي عرف أنها ابنته وليست زوجته، مما جعله يزداد فرحًا وسرورًا.

عرض عليه المسن أن يعمل معه كمشرف على مطعمه بمرتب ١٧٠٠ ليرة بالشهر، واتفقا على أن يباشر العمل بداية من اليوم

التالي في السابعة صباحًا، وكل يوم سيستمتع في المطعم بثلاث وجبات مجانية.

عاد إلى منزله لا تحمله أقدامه من فرط السعادة، فالعمل جاء دون جهود كبيرة، ولذلك فقد تواصل مع مالك العمارة التي يقطنها، ووقع معه عقد إيجار لمدة عام كامل.

ثم شرع في تنظيف الشقة، واشترى كل الأغراض والنواقص التي يحتاجها بكل سهولة، لأنه يقطن في قلب منطقة الأسواق.

بعد ذلك جهز ملبس العمل التي منحت له من صاحب المطعم، وكانت تجمع بين ألوان البني والأبيض، إضافة إلى بطاقة المطعم التي زينتها صورته، واسمه، ونوعية الوظيفة التي يقوم بها.

*****

وفي اليوم التالي انطلق نحو العمل بكل حماسة وشغف، وبدأ يقيم الوضع الكامل للمطعم، ويبحث في سبل تطويره.

وتمخضت عن تلك الأفكار مبادرة منه باقتراحات منها:

وضع صندوق الاقتراحات ونقد الزبائن

وإقامة مسابقات

ووضع امتيازات للزبائن منها الكارت الذهبي للزبائن الذهبيين الذين يترددون كثيرًا على المكان.

كان مالك المطعم المسن سامي فرحًا بكل انجازاته، ملبيا لجميع اقتراحاته، والتي كان منها أيضا:

إقامة عدة تغييرات في الديكور، وتغييرات في الأواني، حيث أصبحت بأشكال خاصة، وعليها عبارة وتوقيع صاحب المحل، وكذلك علب المناديل، وغيرها من التفاصيل التي نقلت واقع المكان إلى شكل أفضل.

ولم يكتفِ سرجون بذلك فقط، حيث طبع عدة منشورات بصورة جميلة فيها تسويق جيد للمكان، وتم التقاط صور رائعة وبزوايا مختلفة للمكان، وتم عرضها –بالتنسيق مع شركات الدعاية، ومع مشاهير التواصل الاجتماعي- في جميع مواقع التواصل، وفي (البرشورات) التي توزع في الشوارع.

وأسهم ذلك في جعل الزبائن يقبلون بازدحام من كل جهة وصوب نحو المطعم، حيث كانوا يستمتعون بفقرة الحفلة

الأسبوعية التي اقترحها سرجون أيضا، والتي تتضمن حفلات أعياد الميلاد، وغيرها مع تقديم قالب من الكيك مجانًا.

وبعد سنة من العمل والإنجازات اقترح على المسن سامي صاحب المطعم شراء المحل المجاور، ولم يكتفِ بذلك حيث اقترح عليه الدخول معه كشريك، ولأنه أصبح شريكا معه فلقد أصبح يشرف على كل تفاصيل العمل.

قابل سرجون طباخًا سوريًا اسمه أمين وكان شابًّا في سن الثلاثين من عمره يتقن طهي الطعام العربي، وأقنعه بالعمل معه، ولكن بنسبة دون راتب، ووافق على ذلك شريكه.

وفي جلسة الاستراحة سأل سرجون الطباخ "أمين" عن أحواله الاجتماعية؟ فقال له: إنه كان يعمل في مهنة الطبخ بمدينة حلب السورية قبل دمارها مما أضطره للهروب إلى تركيا خوفًا من الحرب والميليشيات.

أسهم وجود أمين في تنوع الانتاج في المطعم، فكثرت فيه وتنوعت المشروبات الباردة والساخنة، والحلويات الشامية والتركية.

كان سرجون في قمة نشاطه وهو يقترح على السيدة سوزي أن تتعاون معه في مشروع تزيين الحفلات الذي كانت تتقنه، وبالفعل فقد خصصا له زاوية دعائية في المطعم، واجتهدا على الدعاية

المناسبة له، ووضعا أرقام التواصل السهلة والمتوفرة في مواقع ومنصات التواصل عبر الإنترنت.

وما هو إلا أسبوع واحد وتتصل عليهم عدة شركات ومؤسسات وفنادق تحتوي على صالات لعروض الأزياء، وإقامة حفلات الأعراس، والتخرج، والمناسبات الاجتماعية لتزويدهم بالخدمة والمصممين، والطعام، وطلبوا دليلًا يحتوي على نماذج التصاميم والأعمال.

ركبت سوزي سيارة المطعم الصغيرة، وحملت معها كل المجلات التي تحتوي على التصاميم المطلوبة، ولقد وقع الاختيار على نموذج جديد وجميل، يشبه فيه التصميم قصور السلاطين.

تطورت أعمال سوزي بسرعة حتى أصبح اسمها علامة تجارية معروفة، وعملت على توسيع مشروعها بتجهيز العرائس بكل ما يلزمهم من "حلقة وحمام تركي وسباحة ومركز صحي للتجميل".

وهكذا أسهم مشروع سوزي تحت إشراف سرجون في در الكثير من الأموال والليرات عليهم، وفتح لهم آفاقًا واسعة، وفضاءات متعددة، بين الطعام بشتى أنواعه، وتنظيم الاحتفالات بكل تفاصيلها المختلفة.

كان سرجون كلما اختلى بنفسه حاول أن يتذكر شيئًا عن ماضيه! حتى إنه ذات يوم كان يساعد سوزي في أحد أعمال التصاميم الخاص بإحدى المناسبات، ليدخل عليهما رجل كبير وامرأة، وكان

الرجل يركز فيه أينما ذهب! حتى انتبهت سوزي! وبدافع الفضول سألته: هل تعرف الرجل؟

فأجابها: لا.

ولكنه فكر أن الرجل ربما يعرفه بشكله السابق، إذ طرأت عليه تغييرات منها لحيته التي طالت، ووزنه الذي زاد، ولكن الرجل ظل يواصل التحديق فيه!

فاقترب سرجون منه، وعرض عليه خدماته، فاعتذر منه الرجل، وقال له: إنه ربما يشبه قريبًا له!

ومضى في شأنه!

جلس سرجون في حوار مع نفسه، متسائلًا عن نظرات الرجل له! وهل حقا يعرفه أم لا.

ذهب ذلك الرجل إلى منزله، وأخذ يتحدث مع زوجته وابنته صوفيا زوجة سرجون! وأخبرهما بخبرٍ توقع أن يسعدهما عندما قال لهما إنه رأى رجلًا كأنه سرجون!

فأجابته زوجته "أم صوفيا": وما الذي جاء به؟ وهل يأتي إلى تركيا ولا يعلم به أحد؟!! ربما يكون شخصًا يشبهه فيخلق الله من الشبه أربعين.

ابتسمت حينها صوفيا وقالت: ربما، لا نعلم!

ونادت ابنها يوسف الذي كان يلعب مع كلبه الصغير، ووجهت السؤال لأبيها: هل سأل سرجون من يكون؟

فرد عليها: إن الخجل منعه من المبادرة بالسؤال إضافة إلى أن المناسبة التي قابل سرجون وسوزي بسببها كانت لابن صديقه وجاره القريب جدًّا منه، بل أيضًا هو صهره وعديله، فهم متزوجون الأخوات، وكان صديقه أبو ديالى مريضًا لا يقوى على متابعة ما يجري، ولأن الحفل قد اقترب موعده، فلقد تعهد صهر سرجون بإتمام كل شيء تكريما لقريبه.

وكان الحفل في فندق أقل من ثلاثة نجوم في قاعة قصر السلطان، ولقد كان يتصل عدة مرات في اليوم بسوزي لمتابعة كل شيء، وكان يريد أن يكون كل شيء على أتم وجه، ومن أجمل ما يكون.

فقريبه كان أول شاب يتم تزويجه في العائلة، لذلك كانوا مهتمين جدًّا بإتمام أجمل حفل له.

لقد تظافرت رؤى سرجون الذي كان يتميز بذوقه المميز، وخياله الواسع، ورقي أسلوبه في التعامل مع الناس، ورؤية سوزي بإحساسها الأنثوي الذي يتضمن الجمال، والرومانسية في تصميم متكامل للقاعة. وفيه لمسات من تاريخ السلاطين ابتداء من الورد، واللباس التركي التقليدي، حتى فساتين السلطانات، والمجوهرات الضخمة الدالة على الترف الفاحش، حتى أصبحت تلك القاعة، وذلك الزفاف علامة يحتذى بها.

بالمقابل من ذلك جنى سرجون وسوزي مبلغًا عاليًا جدًّا جعل طموحاتهم ترتفع، فتمكنوا بعد ذلك من التطلع لشراء عقار،

فبدؤوا في مراجعة أكبر شركات العقارات، ومشاهدة عروضهم على أرض الواقع، ليتمكنوا من شراء أرض واسعة، احتفلوا بمناسبة شرائها مع بعض الأصدقاء والزبائن الخاصين.

وحضر الحفلة والد سوزي، وأقيمت الحفلة في إحدى السفن على مضيق البوسفور وسط الموسيقى الهادئة، والعزف التركي (المميوا)، والرقص الشرقي الجميل.

لقد رقص الجميع حتى شعر سرجون وكأنه بين أسرته، وكان البحر يردد أغانيهم، ويتماهى مع رقصاتهم.

وفي أثناء الحفل أهداه والد سوزي مفتاحًا، وقال له حقق حلمك بامتلاك دراجة نارية من فئة (سازوكي هايابوسة)، ولكنه اشترط عليه ألا يقودها بسرعة عالية بشكل يضره.

شكلت تلك الهدية مفاجأةً سارةً له فقبل يده، وشكره عليها كثيرًا.

ورغم اختلاف أديانهما فهو مسلم وسرجون مسيحي إلا أن والد سوزي مسح على رأسه، وقال له: ليس لي سواك أنت وسوزي أكرمني الله بكما.

وبعد انتهاء الحفلة رافقه إلى منزله ليريه الدراجة النارية التي كانت مزينة بالأشرطة الحمراء، وكانت معها جميع احتياجات السائق من خوذة الرأس، والراديو، وجميع أدوات السلامة في ليلة السابع عشر من أكتوبر.

ومرت الأيام بسرعة ليكمل سرجون بيته الجديد الذي كان يحتوي على حديقة صغيرة، تتوسطها بركة ماء، وتحفها زهور التوليب من كل مكان، وتجاورها طاولة تحمل مقعدين بجوارهما مقعد هزاز.

كان كل فراش المنزل أزرقَ بلون السماء أو الماء الجميل، خصوصًا أن المنزل كان قريبًا من بحر مرمرة، والذي تطل عليه المقاهي والمطاعم والمتنزهات العامة.

في الأيام الأخيرة من عام ٢٠١٧ تحدث سرجون مع والد سوزي عن المكان الذي سيقضون فيه عيد رأس السنة.

فردت عليه سوزي بأنهم كمسلمين لا يحتفلون، ولكنها أكدت له بأنه إذا قرر الاحتفال سيشاركانه كصديق لهما.

كانت لدى سرجون عادة قراءة الصحف اليومية، وبعض من صحف الدعاية، فوجد بالصدفة إعلانًا عن احتفال في ملهى (أرينا)، وهو ملهى شهير في إسطنبول، فاتصل بالمسؤولين عن الحفل الذين أخبروه بأن التذاكر المتبقية عشر تذاكر فقط!

فطلب سرجون منهم حجز ثلاثة مقاعد في الطاولات القريبة من المنصة، فاعتذروا بأنها محجوزة سابقًا، ولكنهم عرضوا عليه أماكن أخرى في الصف الثاني، واتفق معهم على ذلك.

وأقبلت ليلة رأس السنة بيوم هطلت الأمطار في شتاءٍ قارسٍ، وكانت سوزي تشعر بحزن شديد ولكنها لا تعلم أسبابه! لدرجة أنه سد شهيتها عن الأكل، أثناء جلوسها مع أبيها على طاولة الإفطار!

ولقد أوصاها أبوها على سرجون خيرًا، إذ يراه ابنه الذي لم ينجبه، وذكرها بأمها المتوفية، وأنه لم يبقَ لها غيره وسرجون.

كانا يزوران قبر أمها، ويضعان الزهور عليه، ويتحدثان معها في ذلك القبر الذي يغطيه الرخام، ويقرآن على روحها القرآن الكريم، ويدعوان لها بالمغفرة.

واصل والد سوزي حديثه ووصيته لها بأنه إذا حصل له أي مكروه فعليها التمسك بسرجون كمخلص لها!

فردت عليه سوزي: بأنه ما زال شابًّا فتيًّا، وتفاءلت لأبيها بالعمر الطويل.

وبعد انقضاء حديثهما ذهبت بسيارتها إلى العمل.. وأخذ أبوها آلة العود مدندنًا ببعض الغناء من التراث التركي، سارحًا بتفكيره بعيدًا مستعيدًا ذكريات الشباب، حينما كان يجلس مع أصدقائه في تلك القرية الجميلة بين أشجار الخوخ والدراق والجوز، وتأتي والدته ببعض الجبن، والعسل، والشاي مع الخبز الساخن.

واصل سفره في عالم الذكريات إلى أن تذكر أيام زواجه من أم سوزي، وأول لقاء جرى بينهما، وواصلت الذكريات تُستعرض في ذهنه، حينما تذكر والدة سوزي، وحفلة عيد ميلادها الأول، ليقطع نباح كلب جيرانهم حبل أفكاره ولحظات ذكرياته الجميلة.

وعندما وصلت سوزي للعمل كان سرجون قد سبقها كعادته، وبعد السلام ذكرها بموعد الحفلة، وفي نهاية اليوم ذهبا إلى الملهى الكبير، والذي كان يطل على نهر البوسفور.

وكان يحتوي على طاولات جميلة جدًّا، ومرتبة بعناية فائقة، والموسيقى كانت منتشرة في المكان الذي كانت فيه الإضاءة رومانسية خافتة.

جلسا عند الطاولة التي اختارها لهم سرجون، وكانت في الزاوية، وطلب بعض العصائر، وبعض الطعام الخفيف.

وبعد منتصف الليل تبادل الجميع التهاني بالسنة الميلادية الجديدة، بعدها ذهب سرجون إلى دورة المياه، وفي طريقه إليها شاهد رجلًا بملابس حمراء، ولحية بيضاء يشبه (بابا نويل).

دخل سرجون إلى دورة المياه، بعدها بلحظة سمع إطلاق نار كثيف، وصياح، وأصوات مختلفة!

تسمر حينها في مكانه! وتذكر ذلك الحادث الذي حصل له في العراق وفقد فيه كل أفراد أسرته.

وبقي هناك بما يقرب الساعة، وهو يستمع إلى كل ما يجري، حتى سمع أصوات سيارات الشرطة القادمة لإنقاذ الأبرياء، حيث وصل رجال الأمن وأخرجوا الجميع، واحتجزوهم في المطاعم المجاورة؛ لأن المجرمين لم يُقبض عليهم بعد، وربما يكونون قد اختفوا بين الضحايا!

لقد قتل الجاني الكثير من الناس حتى أصبحت رائحة الموت في كل مكان!

كانت ليلة بدايتها رومانسية جميلة تنبض فرحًا وبهجةً، ثم تحولت إلى قتل ودماء!

حتى سوزي جرحت في ساقها، ولكنّ أباها أردوه قتيلًا!!

وبعد أن حقق الأمن مع الضحايا سمح للكثير منهم بالمغادرة، فغادر سرجون مع سوزي لعلاج ساقها المجروح في المستشفى.

وظل سرجون يكذب عليها وهي على السرير الأبيض في المستشفى بخصوص أمر والدها المتوفى! فيقول لها إنه بخير، ويطمئنها عليه كل يوم!

وكان كلما زارها تحدثت عن والدها، وذرفت الدموع اشتياقًا له، وكانت تؤكد أنه الوحيد الذي بقي لها بعد رحيل أمها.

فيبادرها سرجون بالطمأنة، ويؤكد لها تضامنه معها، ووقوفه دائمًا بجوارها، وكان يجلب لها في كل زيارة نوعًا جديدًا ومختلفًا من الزهور - خصوصًا اللون الأحمر - دعمًا لها.

كانت زوجة سرجون -صوفيا- وابنه يوسف يعيشان في كنف أهلها، وكانت أمها تندب الحظ العاثر، بينما كانت هي صابرة تفكر في زوجها الذي لا يتصل! ولا تعرف مكانه! حتى إن يوسف كبر وأصبح يسألها عن أبيه، وكانت تجيبه بأنه مسافر!

كانت صوفيا تأخذه يوميًّا إلى الروضة التي يقضي فيها وقتًا ممتعًا مع أصدقائه، لقد حاولت أن تعوضه فقدانه لأبيه بحنانها المتدفق.

ولكي تنفق عليه؛ فقد عملت كبائعة في محل لبيع الأغراض المنزلية، ثم كمندوبة لترويج السلع، لكن في غياب زوجها، وبسبب جمالها الأخاذ فقد حاول صاحب العمل مضايقتها بالتغزل فيها!

ولكنها كانت وفية له، وصائنة لشرفها، ومحافظة على العهد، لذلك فقد كرست حياتها لابنها، وبعد تركها لتلك الأعمال، حاولت مجددًا التقدم لشركات أخرى، حتى وجدت عملًا في شركة سياحية كمرشدة سياحية باللغة العربية التي كانت تتقنها، وأصبحت حينما تذهب للعمل تترك طفلها مع أمها.

وكانت في عملها تضع برنامج الرحلات، وتستقبل الزوار، وتنسق مع الفنادق، وشركات خطوط الطيران، وترتب مواعيد الحافلات والسفن واليخوت، كان عملها شاقًّا، ولكنها كانت تراه قمة المتعة.

وكانت في نفس الوقت تستمتع ببعض العلاقات الودية مع الأسر أو الأفراد من السائحين، وتتبادل معهم أطراف الحديث، وتضيف لنفسها بعض الخبرات.

وكان راتبها يفي باحتياجاتها وابنها وأسرتها الضرورية.. وكانت في كل يوم أحد تصلي صلاتها المسيحية، وتدعو الله بأن يعود زوجها بسلام.

ولكي تنسى فقد كانت تقضي مع ابنها أجمل الأوقات، وفي عيد (الكرسمس) اشترت له أجمل الملابس، وصنعت شجرة الميلاد بيدها، ولونت البيض، وحتى ملابس (بابا نويل) خيطتها بنفسها، ولبستها لتفاجئه بها.

ولأن همتها عالية فلقد قررت إكمال دراستها عبر الشبكة العنكبوتية، حيث كانت تسهر الليالي في دراسة مجال التعليم للطفولة المبكرة لكي تربي طفلها بصورة مثالية.

وكان طفلها قد مرض في اليوم التالي، فأسرعت به خائفةً إلى الطبيب ليطمئنها عليه، وبينما هو مستلقٍ على السرير الأبيض، والأكسجين في فمه كانت تغني له بصوتها الحنون، مثلما كانت أمها تغني لها وهي صغيرة.

وبعد أن عادت لمنزلها نامت بعد فترة قصيرة، لترى في المنام وكأن "سرجون" قادمٌ يحمل بيديه الزهور، وعلى رقبته نصف القلادة الآخر الذي نصفه عندها. وكانت تلبس لباسًا أبيض جميلًا، وقد جاء يوسف راكضًا نحو أبيه الذي حمله، وقبله، ثم قبلها.

لتنهض من نومها حزينة؛ لأنه لم يكن سوى مجرد حلم عابر!

لقد بدد حزنَها رؤيةُ ابنها مستيقظا يناديها ماما، لتبتسم له، وتلاعبه، وتشمه، وتحتضنه شغفًا وحبًّا، فهي لا تستطيع العيش من دونه.

وكانت تخاطبه بأنه سيكبر، ويصبح قويًّا، وربما يصبح بطلًا في سباق السيارات.. لقد قضت معه وقتًا ممتعًا تخلله شكرها لربها على سلامة ابنها.

ذهبت به إلى جده وجدته فاحتضناه، وربتا على كتفه، ولمسا شعره، وقبلاه، ورغم أن جده أحضر له بَبَّغاء باسمه إلا أنه خاف منه، وبعد تشجيعهم له لعب معه.

كان يوم الهدايا حيث أهدته أمه سيارة، وأهداه أجداده طيرًا، جعلته تلك الهدايا يشعر بسعادة غامرة.

كان سرجون يفكر مليًّا فيما حصل في تلك الليلة الحزينة!

وكيف كان الدم منتشرًا في كل مكان!

قال لسوزي:

- سوف يعود كل شيء أفضل مما كان.

ثم أخبرها - بعد أن هيئها لذلك - بوفاة أبيها!!

وكان ردها بالصمت لوقت يسير! قبل أن تجهش بالبكاء، وتتحدث مع روح أبيها، وأثناء ذلك منحها سرجون بعض المناديل لتمسح بها دموعها.

ثم ذهبا معًا إلى زيارة قبره، وعنده بكت طويلًا، ووضعت الزهور، ودعت له.

وبعد أن عادت إلى المنزل تذكرت كل زاوية كان يجلس فيها، لقد تأملت كل أشيائه الشخصية من: كرسيه، وعكازه، وغرفته، وبقية تلك التفاصيل التي لو تحدثَت لسبلَت أنهارًا من الدموع على فراقه.

وعدها سرجون بأنه سيجلب لها امرأة طاعنة في السن لكي تسليها، وبالفعل فما هي إلا فترة وأتت العجوزة بأغراضها لتعيش معها، فاستقبلتها سوزي بكل شغف، وفرح، ولهفة، لدرجة أنها كانت تناديها "أمي".

وبعد أن اطمأن سرجون على أحوالها جلس على أريكته المعتادة يحتسي الشاي الأخضر، ليداهم عقله اللا واعي مشهد شخص أبيض، يضع كاميرا على رأسه، ويحمل في يده السلاح، وقد دخل إلى مسجد، وأطلق النار حاصدًا عددًا من الضحايا!

فاق سرجون من تلك اللحظة! وقال لنفسه بأنها رواسب بقيت في عقله الباطن من أثر حادث الكارثة التي حلت بكل من في حفلة رأس السنة.

وذهب نحو المطبخ ليشرب بعض اللبن لكي يساعده على النوم، فسمع حركة مفزعة في الخارج! وعندما فتح باب المنزل ونظر إلى الحديقة رأى قطًّا أسود، لم يتفاءل به؛ أغلق الباب، وشرب اللبن، وعاد إلى فراشه مستغرقًا في نوم عميق.

ليرى في نومه أحد أصدقائه وكأنه قابعٌ في غيابة البئر، وكان يحاول الخروج رغم أن الشابيْن اللذين كانا معه في البئر استطاعا الخروج، وبقي صديقه ينادي عليه طالبًا منه المساعدة!

كان نومه ثقيلًا، وصوت شخيره عاليًا، فزع من نومه، ونظر إلى ساعة الهاتف فكانت تشير إلى التاسعة صباحًا، فنهض ورتب أموره سريعًا، وخرج نحو عمله.

وعندما وصل شاهد في التلفاز خبرًا عاجلًا عن عملية إرهابية في أحد مساجد نيوزيلندا، فكان سبب ذهوله أنه نفس المكان الذي رآه في منامه!

رن الهاتف وإذا بزوجة صديقه تبلغه أن الصديق ذاته الذي شاهده في حلمه المفزع، إضافةً إلى أبيها وأخوتها قد قتلوا في ذات الهجوم!!

لقد ربى الأب أبناءه على حب الدراسة، وبعد أن أرسلهم إلى نيوزيلندا من أجل الدراسة جاء بعد فترة طويلة جاوزت الثلاث سنوات ليطمئن عليهم، إذ كان مشتاقًّا لهم، وحاول أن يزورهم قبلها، ولكن ظروفه المالية لم تكن تسمح بذلك.

وعندما جاءهم خطفه القدر على يد رصاصات ذلك الأبيض العنصري الغاشمة!! بعد أن استلقى عليهم ليحميهم من وابل الرصاص الذي قذفهم به الإرهابي.

عرض عليها سرجون المساعدة، ووعدها بإرسال أموال المساعدة عبر محلات أو تطبيقات تحويل الأموال للأسرة المنكوبة، والتي تتضمن تكاليف الجنازة، فشكرته المرأة باكيةً.

سرح سرجون في أحلامه الغريبة! ومناماته العجيبة! وفكر في تلك الأحداث المأساوية التي حصدت المئات من الأبرياء! حامدًا ربه على نجاته منها جميعًا.

لقد هزت تلك الحادثة مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام والرأي العالمي، حيث اتضح فيما بعد أن ذلك الشاب متطرف أسترالي جاء وبكل وحشية حاملًا معه بنادقه، حاصدا بها عشرات الأرواح البريئة!

بل إنه وثّق الحادث بكاميراته، ونقله بشكل مباشر على منصات مواقع التواصل، وكأنه ينقل للعالم عملًا بطوليًّا!! رغم أن عمله المشين عمل مرفوض في كل الأديان والشرائع السماوية، وحتى في الأعراف والقوانين البشرية.

كان سرجون كارهًا لعمل هذا الإرهابي، ولا يجد له أي مبرر مقبول، ويستغرب كيف لشخص من أي ديانة كانت أن يفكر في إزهاق نفس بشرية تحت أي ظرف، وبأي دافع كان!

ولكنه كان متفائلًا بأن العدالة ستأخذ مجراها في اتخاذ أقسى العقوبات بحق كل إرهابي من أي ديانة كانت، فتحقيق السلام حق للجميع.

كان سرجون يتصفح موقع اليوتيوب فرأى مقطعًا لمسن أحبط عملية إرهابية في أحد المساجد في دولة النرويج، ورأى الرجل يقول بأنه قفز على الجاني، ونزع منه البندقية وألقاها بعيدًا.

وعندما تابع تفاصيل الخبر وجد أن المنقذ كان ضابطًا سابقًا في الجيش الباكستاني، لذلك استطاع احتجاز الإرهابي حتى وصلت الشرطة، وسلمه لها.. كان سرجون يتأمل كل هذا ويتساءل: متى ينتهي الإرهاب في العالم؟

واصل سرجون حياته بين العمل والمنزل، وكون له بعض الأصدقاء منهم أدهم السوري، وآخر تركي، وثالث كردي.

وكان سرجون قد تعرف على رجلٍ مسنٍّ بالصدفة في حافلة النقل العام، حيث يستغل الناس الحافلات خصوصًا السياح القادمين من سكان دول روسيا وبلغاريا الأصليين، والمهاجرين الذين أصبحوا يأتون إلى إسطنبول فقط لتذكر الماضي، والحنين إلى بلدهم الأصلي.

فسأله عن عمله.

فرد عليه بأنه فلاحٌ ولديه أبناء هاجروا إلى ألمانيا لكسب لقمة عيشهم، وتحقيق بعض طموحاتهم. وأكد له أن جذورهم الأصلية من تركيا، ولذلك فلن يترك جذوره فيها رغم معيشته في بلغاريا.

وختم حديثه بابتسامة صاحبها مرهق من وجع السنين، تلتها دمعة كان كبرياؤه تمنعها من النزول، فكان يتوارى بوجهه بعيدًا لكي لا ترى!

وكان الروس والألمان والبريطانيون يأتون إلى تركيا بحثًا عن الاختلاف في الثقافات والتنوع، حيث تعد تركيا من أعظم وجهات

السياحة العالمية، وأصبحت متخصصة بخبرتها الطويلة في هذا المجال.

وكان سرجون يفكر في استثمار هذا الإقبال الكبير في صالح أعماله التي تخدم الاقتصاد السياحي، وقد لاحظ أن تحسن العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وروسيا وأوروبا أسهم في ذلك، إلا أنه لاحظ أيضًا أن حدوث أي مشكلات قد تتسبب في قلقٍ أمنيٍّ مما يضر بالسياحة.

كان يتحدث بشكلٍ يوميٍّ مع صديقه صلاح الدين السوري عن السياحة، وقال له:

- "يجب أن تتوحد منظومة السياحة في خدمة السائح، بداية من منظمي الرحلات وأصحاب الفنادق، ووصولًا إلى الخطوط الجوية التركية.

ثم عليها أن تقدم خصومات استثنائية للسائح، وذلك لترميم أي تصدعٍ سياسيٍّ يطرأ بشكل مفاجئٍ في الداخل أو الخارج قد يضر بالسياحة!

مؤكدًا بأن الحكومة التركية استطاعت حل أغلب المشاكل العالقة، وعملت على بناء جسور جديدة بين معظم البلدان، بما انعكس بشكلٍ إيجابيٍّ على السياحة، فجذبت الكثير من العالم العربي الإسلامي وروسيا والصين، لتنشط أهم محركاتها الاقتصادية الأساسية".

رد عليه صلاح الدين بأن تركيا أيضًا تشارك دائمًا في محاربة الإرهاب ونشر السلام، حتى إن الشعب التركي يوم الانقلاب خرج بأكمله يدًا بيدٍ لمحاربة الانقلابيين، والحفاظ على الدولة، في تصرف ينم عن الشعور العالي بالمسؤولية، رغم استشهاد بعضهم على جسر الشهداء.

ثم إنهم لم ولن يسمحوا بخراب بلدهم؛ لأن لديهم قيمة الإخلاص والوفاء عالية جدًّا، ولقد أكدوها في تلك الليلة عندما توحد الجميع حفاظًا على تركيا.

وتنهد صلاح متذكرًا أوضاع بلده سوريا، الذي لو كان شعبه مثل الشعب التركي لما وصل إلى هذا الخراب، والضياع، والتشرد، والنزوح، وغرق المئات في الزوارق البلاستيكية!!

ثم أَجْهَشَ بالبكاء حينما تذكر أهله الذين رحلوا بعد أن تهدم المنزل على رؤوسهم نتيجة النزاعات في سوريا! حيث فقدهم جميعًا باستثناء أخيه هارون الذي هرب بمعجزة من الموت عدة مرات.

وكان كلما يجد فرصةً يفتح مصحفه الذي أهدته إياه أمه ويقرأ آياتٍ من القرآن تطمئنه، وتخفف أحزانه التي زالت بوصوله آمنًا مطمئنًّا إلى تركيا، وبدئه للعمل من الصفر في المطاعم والشركات السياحية.

وهذا ما جعل سرجون يعرض عليه الدخول معه في شراكةٍ وافق عليها صلاح فورًا، خصوصًا أنه كان يفكر في فتح فرعٍ آخر لشركته

"شركة النور السياحية" في "غازي عنتاب أو أنقرة"، مؤكدًا على سعادته بانضمام سرجون لهم، وأكد له بأنه سيخبر أخاه هارون بذلك، حيث كان هارون يعاني صعوبة في الكلام.

وعندما عرض الأمر عليه كانت المفاجأة اعتراضه على دخول سرجون معهم في الشركة! بمبررات نقص المال، وتوقعات الخلافات المستقبلية!!

ولكن صلاح حاول إقناعه بتجاوز كل تلك العثرات، وبالفعل تم الاتفاق على دخول سرجون بالشراكة معهم بالمناصفة، وتم فتح فرعٍ جديدٍ في "غازي عنتاب"، وتم إتمام الوثائق، ونيْل الموافقة الرسمية.

وقام سرجون بتجهيز فريق يدير المكتب "كالمسوق والمحاسب والمدير المختص بإدارة مثل تلك المشاريع" وقدم على تلك الوظائف الكثير من الشباب العربي، كان من ضمنهم شاب يعمل كدليلٍ سياحيٍّ، ويتقن أكثر من لغة.

وقبل حفل الافتتاح دعا صلاح وهارون وسرجون كل من يحبون إلى الحفل الذي تم بنجاح.

وكانوا قد عملوا دعايةً كافيةً للفرع الجديد بين الفنادق وشركات النقل والخطوط، وأرسلوا خطابات تعاون مع العديد من الشركات السياحية في أنقرة وإسطنبول وفي خارج تركيا.

لينطلق المشروع بكل زخم حيث أصبح الإقبال عليه جيدًّا كبداية في المشروع، ومع الزمن أصبحت عائداته كبيرة جدًّا حيث

كان البرنامج السياحي يحتوي على عروض كثيرة استطاعوا من خلالها الحصول على خصومات كبيرة من شركات الطيران، والفنادق ذات النجوم الخمسة والأربعة.

وعينوا أمين صندوقٍ كان أمينًا جدًّا يذهب أولًا بأول إلى الحساب المشترك بين الشركاء الثلاث، ليخصم منه المرتبات وإيجار المكتب وبقية المصروفات الشهرية، مما ساعد على تنظيم العمل بطريقةٍ رائعةٍ في مكتبٍ صغيرٍ فاقت فيه النجاحات المأمول والمتوقع، وقد اتفق جميع الشركاء على تخصيص جزء من الأرباح لضحايا المشاكل في سوريا.

كان تصميم شعار شركتهم على شكل "غصن الزيتون، وزهرة التوليب"، وقد وضعوه على سيارات الشركة.

ووضعوا خططًا جديدة للنصف التالي من العام، تضمنت تعزيز نقاط القوة، وتطوير نقاط الضعف.

وكانت حواراتهم طويلة، وأفكارهم كثيرة منها:

إضافة شركة إعلانات إلى مشروعهم، وعملوا لها موقعًا إلكترونيًّا تبنى كل ما يتعلق بالسياحة من إعلانات، وأفلام قصيرة عن أهم الأماكن السياحية، وصور للفنادق، والشقق التي تخدم السائحين.

لقد شكلت شركة الإعلانات إضافة كبرى لهم، وبدأت تدر أرباحًا جيدةً لهم، جمعوها في كتيبٍ شهريٍّ، تم نشره في المحلات والأسواق ومكاتب الخطوط الجوية والأماكن السياحية.

ساهمت كل تلك الخطوات والأعمال الكبيرة في قطف ثمارٍ مدهشةٍ، حيث ذاع صيت الشركة، وأصبح اسمها في كل مكان. مما جعل طموحاتهم تكبر أكثر فأكثر، ليضموا إلى المشروع شركة تأجير للسيارات، بدأوا فيها بأربعة سيارات، وسائق واحد، ووضعوا قوانين تنصفهم، وتنصف العميل، فلا ضرر ولا ضرار، وبأسعارٍ منافسة، وكانت جميع السيارات مؤمنة تأمينًا شاملًا، ومدفوعة ضرائبها بالكامل.

ولأن عملهم كان منظمًا، ومواعيدهم منضبطة، فقد تعاملت معهم الكثير من الشركات السياحية، ولكن في بداية الأمر لم تكن الأرباح ترضي طموحهم؛ لأن أسعار البترول بدأت ترتفع بسبب الهجوم الإرهابي على شركة (أرامكو) في السعودية! والتي تداركت الأمر بعد فترة وجيزة، وعملت على تغطية نفقات السوق من البترول.

والسبب الآخر يعود أيضًا لتذبذب العملة بين سعر صرف الدولار بالليرة التركية.

ولكن مع مرور الوقت استطاع سرجون وشركاؤه إيجاد حلولٍ بديلةٍ لكل تلك المشاكل الاقتصادية بخطوات ثابتة، حققوا فيها أهدافهم على أرض الواقع، حيث كان سرجون يؤمن بأن الإلهام يولد التحفيز، ويحقق المستحيل.

وذات مرة كان صلاح معه في المقهى، فرأى سوزي التي كانت على موعدٍ مع سرجون، وكانت نظرته إليها نظرة إعجاب جعلته

يسأل سرجون عنها، وعندما عرف سرجون إعجابه بها أكد عليه أخذ الأمر بجدية.

لقد كان في قلب سوزي إحساس كبير بالوفاء والشكر لسرجون، رغم أنهم جميعًا ينظرون إليها كعلاقة أخوية خالصة.

بعد أيام زار سرجون سوزي، ودعاها إلى كوب من القهوة في مكانٍ جميلٍ مطلٍّ على البحر بقرب جسر الشهداء، حيث جلسا والهواء الخفيف يداعب خصلات شعرها، وعرض عليها أمر الارتباط بشخص محترم.

فكرت سوزي لبعض الوقت، قبل أن تسأله عن هوية الشخص.

فرد عليها بأنه شابٌّ عربيٌّ حصل على الجنسية التركية منذ فترة قريبة.

فردت عليه بأنها ستفكر في الأمر، ثم حاولَتْ أن تغير الموضوع بقوْلها إنها تفكر في استئجار إحدى قاعات العروض الكبرى بأحد الفنادق الفخمة؛ فهي أصبحت تمتلك شهرةً كبيرةً عند دور الأزياء العالمية.

فرد عليها بأنه يفكر أيضًا في فتح معارض في دول أخرى؛ تزامنًا مع طموحه في الوصول إلى العالمية.

ابتسمت وقالت له:

- بأنها رتبت كل ما يخص المعرض، حيث كانت أزياؤها المعروضة موجهةً للجنسيْن، خصوصًا في مجال أزياء العروسين.

تمت إقامة العرض في فندق (الهيلتون) في إسطنبول، وهو المكان الذي يتعانق فيه التاريخ الأوروبي مع الأسيوي بإطلالةٍ جميلةٍ على البحر.

ولهذا أطلقت عليه سوزي مسمى (العرض الأزرق)، حيث استوحت تصاميمها من الزي التركي للسلاطين، ورافقت العرض موسيقى تاريخية، مستوحاة من المعارك التي خاضها الأجداد العثمانيون، ومستوحاة من المسلسل التاريخي الشهير (قيامة أرطغرل).

وكانت سوزي ترتدي الزي السلطاني بالتاج المنقوش بخيوط الذهب، وكان فستانها طويلًا أزرق لامعًا بزرقة ماء البوسفور الجميل، يتوسطه حزام منقوش كنقش تاجها، وكأنها إحدى السلطانات الحقيقيات، حتى المجوهرات التي زينت بها الفستان والتاج كانت من أراضي تركيا.

وكان عرض الأزياء مقسمًا إلى ثلاث مراحل:

أولها الزي التاريخي للنساء؛ حيث إن الشعب التركي يتمسك بعاداته وتقاليده في مناسبات الزواج التي كانت قديمًا تمتد إلى أربعين يومًا، ولكنها اليوم تختلف من منطقة إلى أخرى، وأشهرها في ذلك ثلاثة أيام.

وبخلفية موسيقية كان هناك سردٌ تاريخيٌّ أثناء العرض، تم فيه إبراز عادات الأتراك عند الزواج، بداية من طقوس وأزياء الخطوبة، والوصول إلى مرحلة الزواج، التي يقدم فيها العريس شبكة العرس،

وهي هدية من الذهب يتم ارتداؤها يوم الزفاف، كما أن هناك شرطًا تضعه العروس على عريسها وهو حفظ القرآن أو جزء منه.

ومن العادات أيضًا أن يتم تقديم القهوة بالملح، وعلى العريس تحمل مذاقها، والتي تعبر عن استعداده لتحمل كل ما يصدر من عروسته مستقبليًّا.

ويرتدي العريس لباسًا بالزي السلطاني القديم، ويقدم خاتم الذهب لخطيبته، ويلبس هو خاتمًا من الفضة، وتُربط الخواتم غالبًا بالأشرطة الحمراء لتقوم والدة العروسة بفك الرباط، وهو يعبر عن انتقال الفتاة إلى حياة زوجية خارج منزل والدها.

ثم تأتي مرحلة الحنة التي تسبق الزفاف مباشرةً، ويتم فيها الاحتفال، وترديد الأغاني الخاصة التي تتضمن وداع العروسة لمنزل والدها، ويتم أيضًا توزيعها على كل الحضور.

وفي يوم المناسبة تلبس العروسة أثناء العرض فستانًا أحمر عليه وشاح يعبر عن حجم فرحتها، ثم يدخل العريس عليها بالزي السلطاني، والعمامة الجميلة، ويزيل الوشاح عنها.

ثم تنظر العروس في المرآة قبل الخروج من بيت والدها كطقس يدل على الطريق الممهد لها في الحياة.

وتم توزيـع الحلوى على كل الحضور، والتي كانت على شكل سلطان وسلطانة، في قاعةٍ كل شيءٍ فيها كان مستوحًى من التاريـخ.

وفي تركيا بشكل عام ينتشر الزواج التقليدي، وغالبًا يكون زواج من الأقارب، كما أن هناك زواج الأجانب إلا أنه قد تحصل فيه مشاكل كثيرة بسبب اختلاف العادات.

وهناك الزواج التبادلي الذي يكون من دون مهر، إضافة إلى زواج الأرملة من أخ الزوج للحفاظ على الأسرة.

وهناك أيضًا زواج الإعلانات، وتعدد الزوجات خصوصًا في المناطق الريفية.

وفي نهاية العرض أثنى الحضور عليه، خصوصا أنه كان بمثابة إعلان ودعاية للسياحة في تركيا، لذلك طلب سرجون نسخة منه.

وثق الحضور العرض بكاميراتهم، وهواتفهم، حيث استمتع الجميع بتاريخ أجدادهم الثري في الحضارة الإسلامية.

وكانت آخر فقرة في العرض: عرس الختان، وهي مناسبة دينية تظل عالقة في أذهان الأطفال الذكور مدى الحياة.

تحدث سرجون مع صديقه صلاح عن عرس الختان مبينًا أن أشهر عرس ختان كان حفل شاه زاده محمد بن السلطان مراد الثالث الذي استمر لشهريْن، والذي أقيمت فيه وَلَائِم كبيرة.

ومن أبرز مظاهر عرس الختان حلويات خاصة تسمى (النهل)، وهي حلوياتٌ مزينةٌ بالفواكه، والأعشاب على هيئة شجرة صغيرة تدل على البركة.

وظهر الأطفال في مناسبة عرض الختان بأزياءٍ خاصةٍ تتضمن سروالًا وسترة بيضاء، مكتوب عليها "ما شاء الله"، وعلى رأسهم تاجٌ، وقميصٌ طويلٌ.

كان العرض في قمة الروعة من حيث اختيار الألوان والأزياء والتنظيم الذي سر الحضور، والذين كانوا من الزبائن، والأصدقاء، والأسر الثرية، حيث صفق الجميع لها على العرض التاريخي، الذي أحيا طقوسهم، وعاداتهم الجميلة.

اقترب منها رجلٌ كبيرٌ يقارب السبعين، كانت تعرفه من قبل؛ لأنه صديق أبيها، وهو مخرج أفلامٍ يعمل كمنتج في قطاع السينما وإخراج الأفلام، وصافحها، وبعد أن هنأها بنجاح العرْض عرَض عليها فكرة أنه بصدد عمل فيلمٍ عن التاريخ العثماني، ويحتاجها في مهمة تصميم الأزياء، وتصميم إكسسوارات الأماكن.

وافقت على عرضه بشكلٍ مباشر، واتفقا على موعد توقيع العقد بينهما.

تقدم صلاح نحو أخيه هارون وترافقا معًا إلى سرجون حيث قدم الجميع الشكر لسوزي وماريا على العرض الرائع، وأثنوا على جهودهما الكبيرة في نجاحه.

كان صلاح منبهرًا وهو يقدم الشكر لها من حيث اختيار المكان، وطريقة عرض المنتجات، والموسيقى المرافقة للعرض، مؤكدًا بأنه يتنبأ لها بمستقبلٍ باهرٍ في هذا المجال.

فكرت ماريا في كلامهم جميعًا، ودفعها ذلك إلى أخذ عدة دورات في مجال التصميم، لتلتحق بعد ذلك بالدراسة في الجامعة.

ولأن "صلاح" تحدث عدة مرات له بشأن سوزي، فلقد دعاها سرجون إلى إفطارٍ في بارٍ داخل مقهى مطل على بحر مرمرة.

مرت الليلة طويلة عليها، وفي الصبح استيقظت بكل حماس، وبعد أن جهزت نفسها، وضعت قليلًا من مساحيق التجميل بكل عناية، ثم انطلقت بسيارتها في شوارع إسطنبول المزدحمة، مما جعلها تضطر للاتصال بسرجون عبر الفيديو.

ظل الفيديو مستمرًّا بينهما كانت تُطْلعه فيه على كل مكان وصلت إليه.

وعندما اقتربت منه هو وصلاح تعثرت من فوق السلم بسبب بعض الماء المسكوب عليه! فنهضا لها مسرعين لكي يطمئنا عليها، فبشرتهما بأنها بخير، ليعلق سرجون مازحًا بأن سبب سقوطها يعود إلى عيون صلاح الحارة!

ضحك الجميع، وجلسوا على الطاولة المطلة على البحر، حيث طلبت سوزي قهوةً تركيةً دون سكرٍ، مع الكعك والماء.

فرد عليها سرجون بأنهم جوعى وسيطلبون إفطارًا دسمًا فهو يحب وجبة (القاورمة) باللحم كثيرًا، والأجبان بمختلف أنواعها مع الخبز الحار، وأومليت البيض مع مربى بنكهة عين الجمل مع الشاي.

وطلب صلاح الفطور التقليدي الذي يتميز به المطعم.

ولم تشعر سوزي بالحرج من صلاح وكأنها تعرفه منذ زمن طويلٍ، فهو يحب المزاح والضحك، ويبعث الطاقة الإيجابية.

أخذ صلاح بعض الخبز المقطع ورماه للنوارس الجميلة التي تجمعت قريبًا من منطقة جلوسهم، مصدرةً أصواتًا جميلة.

كان سرجون ينظر إلى الشاطئ البعيد، ويتأمل الصيادين الأتراك الذين اعتادوا ممارستها من أجل المتعة لا لكسب العيش، والدليل أنهم يرمون صيدهم في البحر.

وعندما ركز سرجون أكثر خيّل إليه أنه رأى عبارة مكتوبة على رمال الشاطئ! وعندما تفحصها وجدها تتضمن تاريخًا ١٧٧٩/٩/٢ هناك زلزال في الصباح!

مسح رأسه ثم نظر مرةً أخرى لنفس المكان، فلم يجد شيئًا مكتوبًا! صمت وكان يمضغ الطعام ببطء!

فانتبهت له سوزي وسألته عن وضعه.

فابتسم لها، ومازحها متهمًا "صلاح" بثقل الدم، فضحكت وهزت رأسها بأنها لا تتفق معه في ذلك.

تحدثت ماريا مع سرجون عن مشروع التعاقد مع شركة إنتاج لتصميم الأزياء والاكسسوارات لفيلمٍ تاريخيٍّ، حيث أبدى إعجابه بذلك، وبارك لها على إبداعها، وطلب أن تقيم لهم فقرة عرض أزياء في رحلتهم السياحية.

فرحت سوزي بالفكرة، وأيدتها، واتفق معهم صلاح على ذلك.

واتفق الجميع على تنظيم لقاءات متكررة، تكون فيها فرص أكبر لسوزي على فهم صلاح أكثر فأكثر، كما أسرَّ بذلك سرجون له في أذنه تشجيعًا له على البدء بإضافة الفقرة المتفق عليها إلى البرنامج السياحي، لكي يتثقف العمل أكثر بالتاريخ والحضارة العثمانية، وهو سر اهتمامهم.

كبر ابن سرجون وسجلته أمه في المدرسة التي كانت تدرس فيها، ولأنه كان شرسًا طلبت المديرة أمه التي جاءت مسرعة لتتفاجأ بأنه قد وضع القلم في عين زميله الذي دفعه أيضًا حتى سقط أرضًا، ونزف دمًا من أنفه!

أخذته معها إلى المنزل، وقبل ذلك طلبت من المديرة رقم هاتف أهل الطفل المصاب لتعتذر منهم، رغم أن الحزن يعلوها لغياب زوجها سرجون، وجهلها بمكانه.

وكانت قد انقطعت عن الاستمرار في الدوام في نفس مدرسة ابنها بسبب مرض والديها، واستعاضت عن ذلك بالعمل عما بعد كمسوقة إلكترونية عبر الإنترنت، لكي تلبي احتياجات طفلها.

كان حزنها عميقًا لعدم معرفة مصير زوجها، ولذلك أثر ذلك عليها، فأهملت العناية بشكلها! ولباسها! وحتى نفسها!

لقد تغلغل الحزن في كل أرجائها حتى ذهبت ملامح الحياة عن وجهها الذي كان جميلًا، ولكن بريقه أزاله الحزن سنوات الفراق التي مرت عليها، وكأنها دهر لا ينتهي! وكما تقول العرب: البعد أخو الموت!

عادت برفقة ابنها إلى المنزل، وعندما وصل احتضنته، وقبلته، ثم حكت له حكاية عن: (الزان لولو كاتي، والدب ويني)، ومغزى الحكاية يحكي أن ضرب الصديق فعل مشين.

وأكدت له بعدها بأن الاعتذار أمرٌ ضروريٌّ، ولذلك شرعت في الاتصال بعائلة الطفل واعتذرت لهم، وبعد أن عرفت عنوانهم اصطحبت ابنها حاملةً الورد لهم، حيث قدم يوسف الورد لصديقه معتذرًا، ثم لعبا معًا بالألعاب وكأن شيئًا لم يكن!

ومرت الأيام.. حيث كبر ابنها، وكان صبيًّا ذكيًّا جدًّا، قوي البدن، طلق اللسان، وكان يحدثه جده عن جده من أمه، وهو جد أبيها عثمان بيك الذي شارك في الحرب العالمية مع الجيش العثماني ضد البريطانيين في "معركة الكوت" في العراق والتي أصيب فيها بسبب شجاعته وإقدامه، لتعالجه ممرضة، وتساعده على الهروب، بعد أن دفعت النقود لفئة تسمى (الصلبة)، وهو غجر رحل نقلوا جده على الحمار مع قوافلهم، وهرّبوه من موْتٍ محقق.

ويؤكد الجد له دور الحروب والنزاعات وتصارع القوى الكبرى في التشتت والتشرد والدمار، وفي المعاناة التي حصلت للصغير وتسببت في ابتعاد ابنه سرجون عنهم، ولا يعرفون مكانه!!

وأكد الجد رفضه لكل النزاعات، وكل مظاهر العنف التي ترفضها جميع الطوائف والأديان، وعرج بالحديث حول تعريف حفيده وأمه بتاريخ أجدادهم، موضحًا قصة (عقد الياسمين)، وقصة (عثمان وخطيبته) بكل تفصيل.

ولا يزال سرجون يعيش قصصه مع أحلام اليقظة التي تراوده دائمًا! لدرجة أنه ذهب إلى الدفاع المدني وقص عليهم أحلام اليقظة التي تكررت عليه، بعد تلك الطلاسم التي قرأها عند الكاهن، وأصبح بسببها يمتلك قدرات روحانية غريبة، منها أنه أبلغهم أيضًا بتاريخ توقيت وقوع الزلزال! مما أذهل موظف الدفاع المدني، فكتب توصيةً بذلك إلى المسؤولين لأخذ الاحتياطات اللازمة.

وفي ذلك التاريخ بعينه نزل سرجون من على السلم، ثم زلت قدمه ليسقط من الأعلى فاقدًا وعيه! ثم نقلوه بشكلٍ سريعٍ إلى المستشفى، وحاول الأطباء إنعاشه حيث شخصوا حالته بنزيف داخلي.

وهو في تلك الحالة كأن روحه اخترقت الجدران، لتذهب مجتازة المنازل والأحياء، حتى وصلت إلى منزل أهل زوجته! ليشاهد صبيًّا يلعب الكرة في حديقة المنزل، ويرى امرأةً تقرأ كتابًا وتشرب القهوة، ثم نادت ابنها باسمه لكي تسقيه عصيرًا، وعندما جاء إليها قالت له:

- أنتَ اليوم لن تذهب إلى المدرسة بسبب الزكام، وهذا عصير البرتقال سيساعدك على الشفاء من ذلك!

في تلك اللحظات كان سرجون يريد أن يحدثهما فالشوق يلهب قلبه، فصاح عليهما بأعلى صوته! لكنهما لم يباليا بذلك لأن روحه هي من كانت تناديهما!

لقد بدأت تلك الروح تعود تدريجيًّا إلى الجسد، واستبشر الأطباء بعودة نبضات القلب إلى حالتها الطبيعة مما أسهم في عودة حياته إلى طبيعتها.

فتح عينيه ليناديَ باسم زوجته، وابنه ليعرف أنه في المستشفى! وحوله سوزي وصلاح وعلى ملامحهما يبدو الخوف والقلق عليه، والاستغراب من ندائه لزوجته وابنه وهما بجواره!

حيث طمأنوه بأن الزلزال انتهى على خيرٍ من دون خسائرٍ بشرية، وأخبروه بأن هناك مئذنةً سقطت دون أن تدمر شيئًا، وبينوا له أن الناس خرجوا للحدائق العامة؛ لأنها أكثر أمانًا.

وعندما سألهم: ماذا حدث؟

أخبروه بأنهم كادوا أن يفقدوه، فقد مات منذ دقائق، ولكنه عاد للحياة مجددًا، فبعد سقوطه من السلم حصل له نزيف داخلي انتهى بخير.

فقال لهم بأنه عرف ذاته، ووصل إلى هويته، وعرف زوجته وابنه، وعرف بأنهما في ذات المدينة! وأنه لم يرَهما إلا عندما انتقلت روحه إلى العالم الآخر.

دهشت سوزي وصلاح منه حتى ظنا أن عقله أصابته لوثة بسبب الحادث! وعندما أخبراه بذلك رد عليهما بأنه بخير أكثر من ذي قبل، وأكد لهما أنه إذا خرج من المستشفى سيذهب ويجلب زوجته وولده.

وبالفعل فقد قرر بعد أسبوع من الحادث الذهاب إلى أهل زوجته صوفيا لجلبها وولده إلى منزله.

وأثناء وجوده في المستشفى تقدم صلاح وخطب سوزي، وتزامن ذلك مع احتفال سرجون بعودة عائلته ولم الشمل، لذلك قررا أن يكون زفافهما بعد ذلك.

كان سرجون في طريقه نحو منزل عائلة زوجته، وبخطى ثقيلة قالت حماته:

- من الطارق؟

فرد عليها:

- سرجون!

فلم تصدق أذنيها فقالت مرة أخرى:

- من الطارق؟

فأكد عليها أنه سرجون! ففتحت له الباب وهي تكاد أن تطير من الفرح، واحتضنته بقوة، وسألته عن سر غيابه.

فرد عليها: بأنه قريبٌ منهم.. ثم جاء زوجها -عمه- وعانقه، ولكن زوجته وابنه كانا في المدرسة.

ولأنه أبدى اشتياقًا كبيرًا لهما؛ ذهب به والد زوجته إلى المدرسة التي تعمل فيها، ويدْرُس فيها ابنه، وعندما وصل رحبت به مديرة المدرسة، وطلبت منه الانتظار حتى يصلا إليه، وكان يشعر بأن

الدقائق ساعات، وبأن اللحظات تمضي ببطء، فنار الأشواق تضطرم في أعماقه شغفًا وحبًّا وحنينًا.

عندما وصلت زوجته عرفته ولكن لم يعرفه ابنه؛ لأنه لم يره في طفولته، وعندها صرخت فرحًا وعانقته باكيةً بكل قوة، ثم عرفت ابنها على أبيه، واجتمع الجميع بعد دقائق في السيارة حيث ذهبوا معًا نحو المنزل.

ثم حضر صلاح وسوزي إلى سرجون، وقد جلبا الحلوى والورود لتهنئته بلم شمله مع أسرته، وقدما له أيضًا دعوةً لحضور زفافهما في أكبر أوتيل.

قامت ماريا وفريق العمل بإنجاز كل ترتيبات الحفل بكل تفاصيلها الجميلة.

كان والد صوفيا يواصل الحديث عن حفل زفاف جدته أمينة وجده عثمان بعد أن عاد إلى إسطنبول مع الغجر في عمر الثانية عشر ربيعًا، وعمل في الزراعة مع ابنة خالته آمنة ذات العشر سنوات آنذاك، وكانت بيضاء كزهرة الياسمين، وصافيةً كالسماء الصافية حيث قال لها عثمان مبتسما وبعيون مليئة بالفرح بأنه عندما يكبر وتكبر شجرة الياسمين سيصنع لها عقدًا من أزهارها البيضاء، فابتسمت آمنة، وردت عليه ساخرة:

- إذا كبرت هذه الشجرة.

ثم هرول على عجل إلى إسطبل خيول أبيه إبراهيم باشا، حيث سمعا بأن فرسه التي يحبها، وكانت من الخيول العربية الأصيلة

التي تميزت برشاقتها، وسرعتها، وجمالها قد أنجبت توأمًا من ذكر وأنثى.

وعندما وصلوا إليه وجدوا الفرحة تعلو محياه، ليقول لابنه:

- مهر لك، ومهر لمن تحب.

فقال له عثمان وهو يكاد أن يطير من الفرح:

- سأعطيه إذًا لآمنة..

فرد عليه أبوه بالموافقة، فشكراه بروح الطفولة الجميلة.

كان عثمان صبيًّا وسيمًا طويل القامة، نحيف الجسم، أشقر الملامح، بني العينين، كثيف الشعر والحاجبين، وعريض المنكبين، ويعشق ركوب الخيل، حيث كان كل يوم يمتطي أحد أحصنة الإسطبل، ويصول ويجول في جنات أبيه الخضراء التي كانت ترتوي من مياه بئر إبراهيم باشا ذلك الرجل الصلب حاد الملامح والشخصية، وطويل القامة، وكثيف الشعر، ومفتول الشاربين، وأشقر اللون.

وكان ثريًّا من ضمن أغنياء إسطنبول، حيث كان يمتلك حقولًا كبيرة، ومزارع تقدر بمئات (الهكتارات) المزروعة بأنواعٍ مختلفةٍ من الفواكه والخضار، وحقول الذرة والقمح، والقطعان التي تمرح من هنا وهناك.

وكان أيضًا يمتلك قصرًا عظيمًا مطلًّا بشرفته الشاسعة على جنته من جهة، ومن جهة أخرى يطل على مضيق البوسفور الأزرق الجميل.

وكان قد بني على الطراز العثماني القديم، حيث كان يتميز من الخارج بنوافير المياه الرخامية الجميلة، والتماثيل الإيطالية الرخامية.

وكان يتضمن حديقةً شاسعةً تحتوي على أروع وأندر أزهار التوليب بكل ألوانها الرائعة، وأشجار البندق الخلابة.

وكان في منتصفها بحيرةٌ زرقاء، تعوم في أرجائها البط والإوز وتسبح فيها الأسماك والسلاحف.

وكان يحيط بالقصر والمزرعة سورٌ عالٍ من الصخر والحديد، وتتخلله بوابتان، واحدة رئيسية أمامية، والأخرى خاصة خلفية، وحوله حراس معهم أشرس أنواع الكلب الحراسة التي أهداها له تاجر الخيل الإنجليزي (نلسون هاموند).

وكان القصر يمتاز بزخارفه الإسلامية الزرقاء، واللوحات الفرنسية المشهورة، وكانت أرضيته من أرقى أنواع الرخام البارد القادم من جبال تركيا، وتمت تغطيته بأفخم أنواع الفراش الفارسي.

وكانت تنير زواياه الشموع المعطرة بأجود أنواع العطور الشهيرة، المثبتة على منصات من أنقى أنواع الكريستال والفضة.

وكانت شبابيك القصر عاليةً جدًّا تدخل منها نسمات الهواء الباردة، ويتخللها انعكاس خيوط الشمس المشرقة على مضيق البوسفور، وتغطيها أغلى وأجود أنواع الستائر ذات الطراز (اللويسي) المصنوعة من الحرير الطبيعي.

وفي وسط الجدار المقابل للستائر يقبع موقد حجري مزخرف، ويغطيه من الأعلى صفيحةٌ من الرخام الأبيض، وتعلوه صورة إبراهيم باشا بالإطار الذهبي المرصع بالأحجار الكريمة.

وفوق الصورة توجد بندقية جد عثمان (عثمان الأول) الفرنسية العتيقة، التي لطالما تأملها وسأل أباه عنها.

ليجيبه بأنها عزيزة عليه، وحريص على وجودها دائمًا في قصره.

واصل عثمان تأمله لها لدرجة أنه فكر في لمسها، ولأنه لا يستطيع الوصول إليها؛ فقد جلب طاولةً ووقف عليها، ليقبض عليه أبوه متلبسًا! كان عثمان يتصبب منه العرق، بينما كان أبوه يخبره بأنه ورثها من أبيه وأنها تعني له الكثير.

وأثناء حديثهما دخلت أمه وتساءلت عن سبب نقاشهما.

فرد عليها أبوه بأن الأمر عابر! ودعاهما إلى جلسة قهوة جميلة.

كانت عائشة أم عثمان ذات بشرةٍ بيضاء، ووجهٍ كالقمر، وعيونٍ خضراء.

جلسوا في الحديقة ثم أعد الخادم لهم قهوةً مركزةً بلا سكر، وبعد أن جاء لهم بالقهوة أبلغهم بقدوم عبد الحميد باشا والد آمنة.

وعندما استقبله إبراهيم باشا وجده في حالة بؤس! وبعد أن سلم عليه باللغة التركية (نور نيوخ) سأله عن سبب الحزن.

فحدثه عن الولد اليتيم يحيى الذي أخذه وأسكنه في منزله، ورباه ثم خان ثقته عندما جاء إلى المصرف ليجد بأن حسابه المالي صفر!!

حيث كان يرسل إيداعات معمل القماش الخاصة عن طريقه إلى البنك، كونه كان هو المدير العام لأعماله، ففاجأه موظف البنك بأن يحيى لم يودع في البنك أي قرشٍ واحدٍ منذ عام!

بل أنه كان يسحب مبالغ طائلة من المال، وآخر قيمة سحبها كانت قبل يومين!

فخرج سريعًا لعله يتدارك به، فهرع إلى محطة القطار آملًا أن يجده فيها، ولكنه فوجئ لاحقًا أنه قد هرب إلى (فيناز).

شعر حينها بألمٍ شديدٍ في صدره، وسقط مغمًى عليه، ليفزع له إبراهيم باشا ونادى الخدم والحراس الذين حملوه إلى المستشفى، وبعث برسالة مع أحد الحراس لكي يبلغ أهل عبد الحميد بما جرى.

وكان يتمتم بآيات من القرآن، وبعض الأدعية التي يتمنى من خلالها شفاء صديقه، وعودته سالمًا غانمًا إلى أهله، وأن يعوضه الله عن خسائره.

وبعد أن أدخلوه قسم الطوارئ جاء طبيبٌ شابٌّ في الثلاثين من عمره، وبين لإبراهيم باشا بأن سبب المرض صدمةٌ نفسيةٌ أثرت على وظائف القلب، وبالمهدئات سيصبح وضعه أفضل، ولكن بشرط أن يترك التدخين.

في تلك اللحظة كانت قد وصلت أم آمنة مرتبكة، والحزن يكسو وجهها، والدموع تنهمر منها، لتعانق زوجها عبد الحميد وتهون عليه، كما أنها قدمت الشكر الكبير لإبراهيم باشا الذي رد عليها بأن هذا واجبه تجاه صديقه، وأنهم أهل وأصدقاء.

عاد إبراهيم باشا إلى منزله متعبًا بسبب الفزع على صديقه، وبعد أن مكث بعض الوقت مع زوجته عائشة أم عثمان استلقى في نومٍ عميق، بينما واصلت هي قراءة كتابها حيث إنها شغوفة بالاطلاع.

نهضوا في اليوم التالي متأخرين، وكان لديهم طباخ يسمونه العم حسن؛ لأنه كان يطبخ لأبيهم وأصبح يطبخ لهم، ويتميز بروحه المرحة، ولمساته الساحرة في طبخ الطعام اللذيذ، إضافةً إلى أنه كان يعرف كل أذواق أفراد الأسرة.

كان العم حسن نحيل الجسم قوي البنية، طويل القامة، ذا بشرة بيضاء، وشعر بيضه الشيب، لكنه كان بارعًا في صناعة الطعام، وخاصة (البورك والبقلاوة).

وفي يوم من الأيام مرض العم حسن مرضًا خطيرًا كاد أن يؤدي بحياته، لكن الباشا تكفل بعلاجه، وجلب له أحسن الأطباء

لإنقاذه، وذلك ما جعل علاقته بالباشا مميزة وصلت لدرجة الأخوة الصادقة الحميمية.

وكان يتنزه مع الباشا في المزرعة، وكان يناديه برفيق الصبا، وكان مخلصًا لهم، ومستعدًا للعمل المجاني معهم، بعكس يحيى الذي خان ثقة عمه فيه، وسرق المال، وهرب إلى لندن، واشترى فيها شقةً في حي (سوهو)!

وكان في ذات الشارع الذي يسكنه بيوت دعارة، مما جعله يتعرف على فتاةٍ عاهرة، كانت جميلةً جدًّا، وشعرها أحمر كلون النار، وتتعامل مع الزبائن بالساعة.

لتدله على طريق (الريسيز)، وبدأ يرتاد الملاهي، ويراهن فيها، بل وأقنعته بسحب مبالغ كبيرة للمضاربة!

ولم تكتفِ بذلك، إذ اتفقت مع بعض المتخصصين في سباقات الخيل للقيام بألاعيب، كقطع سرج الفرس التي راهن عليها لكي يخسر، وكان في كل مرة يخسر تطمئنه بأنه سيربح في المرة القادمة!

وظل على ذلك الحال حتى انتهى كل ما لديه من مال! فطردته العاهرة من منزلها! وأصبح مشردًا يتعاطى المخدرات، حتى وصل إلى درجة النحالة الشديدة، ولم يعد يجد ملابس كافية تغطيه، وليس لديه المال للعودة إلى تركيا.

وفي إحدى الليالي هداه الله، وذهب إلى أحد المساجد وتوضأ وصلى، وفي صلاته أطال السجود مناجيًا ربه، وطالبًا منه طريق الرشاد.

وقد أطال السجود حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر، ثم جاء إليه حارس المسجد، وكان شاب في الثلاثين من العمر، وسأله عن سبب بكائه الشديد.

فرد عليه بأنه أسرف في حق نفسه كثيرًا وسأله هل سيغفر الله له.

فرد عليه بأن الله أرحم الراحمين.

وعرض عليه المساعدة.

فقال له: إنه لا يملك شيئًا، ويريد مساعدته للعودة إلى بلده!

فرد عليه بأنه سيبحث له عن عملٍ عن طريق مدير المسجد الذي وصل بعد دقائق.

وبعد فراغهما من صلاة الفجر جلس المسؤول معه، وبعد أن عرف قصته كاملة عرض عليه العمل، ووافق، حيث جعله مسؤولًا عن تنظيف المسجد مقابل سبعة وثلاثين جنيهًا استرلينيًّا في الشهر.

وبدأ العمل في نفس اليوم حيث نظف سجاد المسجد بكل حماسة وشغف.

ثم بعد ذلك اتصل على أهله ليتفاجأ بأن والدته قد أصابها المرض عندما صدمت بفعله المشين! وسفره وضياعه في الغربة! لقد كانت صدمتها كبيرة في ابنها الوحيد الذي وضعت كل ثقتها به!!

وأصبحت تفكر فيه ليلًا ونهارًا حتى أصابتها جلطة مفاجئة في الدماغ، ولم يستطع أبوه حتى إسعافها، وانتقلت إلى الرفيق الأعلى غير راضية عنه.

أجهش يحيى بالبكاء كثيرًا عند سماع الخبر الحزين من أبيه، الذي كان بدوره يقتله الحزن حتى أصبح يدخن ليلًا ونهارًا، ولم يكن يلتقي بأحد بسبب فعل ابنه المشين، فكلما ذهب إلى المقهى تغامز الناس عليه!! وليس له ذنب سوى أنه قصر في تربية ابنه، وكان يلوم نفسه كثيرًا على ذلك.

غلق يحيى سماعة الهاتف بعد أن سمع خبر وفاة أمه! وبكى كثيرًا، وظل يتضرع إلى ربه، والدموع تنهمر كالأنهار من عيونه حزنًا واشتياقًا.

كان يفكر في كل شيء، لدرجة أنه فكر في الذهاب عند وصوله تركيا إلى الباشا عبد الحميد، ولكنه قال في نفسه: إنه ربما لا يسامحه البتة، وكان يرى الكلب أكثر وفاء منه!

وفي الجانب الآخر كان الباشا عبد الحميد قد بدأ بالتعافي من نكسة الخسارة الفادحة من خلال الاستعانة بعلاقاته، ومن أهمها صديقه أبو عثمان الذي زاره في منزله برفقة ابنه عثمان حاملين معهما باقة من زهور الياسمين البيضاء التي كان تعشقها ابنة خالته آمنة التي جلس بجوارها عثمان.

وجلس الكبار مع بعضهم يحتسون القهوة، وانزوى الصغار قليلًا عنهم يشربون العصير، ثم دار حوار بينهم عن اختبارات المدرسة التي كانوا متفوقين فيها.

بشر عبد الحميد صديقه بأنه بدأ يلملم أوراقه للعودة للعمل بكل شغف، وحينها أخبره الباشا بأن صديقه في وزارة الدفاع قد حدثه عن حاجة الجيش للكثير من الملابس الجديدة، وهذا ما جعله يرى فيها فرصة كبيرة لإعادة إحياء معمل الخياطة الذي يمتلكه عبد الحميد الذي سر بالخبر كثيرًا، وأبدى جاهزيته التامة، وشكره على اهتمامه كثيرًا.

وفي اليوم التالي أسرع باكرًا إلى المعمل، وشرع في دراسة جدوى المشروع مع المحاسب محمد أفندي، والتي خلصا فيها إلى وضع إعلان في الصحف عن حاجتهم إلى مصمم أزياء، إضافة إلى أفضل الخياطين المحترفين لصناعة الملابس الرجالية الزي الرسمي.

وفي السابعة صباحًا جاء العديد من المتقدمين لشغل وظائف الخياطة والتصميم، وكان من بينهم رجل في عمر الخمسين يدعى قاسم، وهو خياط محترف في خياطة الملابس الرجالية حيث قدم لهم بدلة كاملة بعد أسبوع، لذلك تم اختياره للعمل كمشرف على خمسة من العمال الشباب.

ليذهب مع محمد أفندي لسوق الجملة، ويشترى كل ما كان يحتاجه لإنجاز العمل من مكائن الخياطة، وبقية اللوازم بأرخص الأسعار لخبرته في ذلك.

وبعد أن رست مناقصة تجهيز ملابس الجيش على عبد الحميد باشا، بدأ العمل بقوة، وكان كل شيء يجري على قدم وساق من أجل إنجاز آلاف القطع في ستة أشهر مقابل مبلغ مالي رائع تمنحه وزارة الدفاع.

ولذلك فقد كان عبد الحميد باشا مشرفًا بنفسه على إتمام العمل، وبعد جهد كبير تظافرت فيه جميع الأطراف أنجز العمل قبل الوقت المحدد بعدة أيام إلى الوزارة التي منحته حقه مباشرة.

وبذلك يكون قد عوض شيئًا من خسارته السابقة، وبتلك المناسبة ندب إلى وليمة كبرى دعا لها صديقه إبراهيم باشا، وعائلته، وجميع طواقم العمل الخاصة بالمعمل الجديد، ومعمل الأقمشة.

كانت ليلة لا تنسى، فالزهور البيضاء في كل مكان، وصوت عزف الموسيقى الرائعة يشنف المسامع، واستمتع الجميع بالطعام اللذيذ.

وأمر عبد الحميد باشا بصرف مكافأة مالية بمناسبة النجاح لكل العاملين في المشروع، وصادف وقت المكافأة احتفالهم بقرب موسم عيد الأضحى، لتكون الفرحة فرحتين ساعدتهم إما في شراء ملابس العيد والأضاحي، أو الاستفادة منها في الذهاب إلى رحلة جميلة في الأماكن السياحية في ربوع تركيا الجميلة.

وبالفعل فقد اتفق جميع العاملين على تنظيم رحلة مشتركة بينهم يوم الثاني من عيد الأضحى المبارك.

ثم فاجأهم الباشا عبد الحميد بتكفله برحلتهم على حسابه الخاص، وقد أسعدتهم مبادرته جدا، ودعوا له بالبركة والرزق والتوفيق.

ونادى إبراهيم باشا السائس، وبعد أن اطمأن على أحوال عثمان وآمنة أخبره أن يخبرهما بسباق خيل سيقيمه بينهما يوم الجمعة بمناسبة نجاحهما في السنة الأخيرة من الثانوية.

وبعد أن أخبرهما السائس ذهب وجهز الأحصنة، ونظف السرجين، ولمعهم، وجهز لهم العلف المناسب، مما جعل الباشا يسر بإتقانه لعمله، ويزيده في مرتبه سبعة وسبعين ليرة في الشهر سر بها السائس وقبل رأس الباشا شاكرا.

ثم قدم الباشا دعوة لبعض أصدقائه من أجل حضور السباق، بعد أن اتفق مع الطبيب البيطري للإشراف على الخيول، ومنحها اللقاحات الموسمية، وبعض الأطعمة والفيتامينات التي تقويها.

وفي يوم الجمعة تم تجهيز المكان والخيول والمتسابقين عثمان وآمنة اللذين ركبا خيولهما، وبعد إتمام التجهيزات، وبتشجيع من الحضور رن الجرس مؤذنا ببدء السباق الذي كان على أرض مسطحة من غير حواجز.

في الدقائق الأولى من السباق تقدم عثمان بعض الأمتار على آمنة التي كانت واثقة من الفوز رغم خسارتها في الجولة الأولى، ومباركتها لعثمان على فوزه.

ولكنها في الشوطين الآخرين تغلبت على عثمان بفارق الوقت والمسافة، وبدأ التصفيق، وارتفعت أصوات التشجيع حتى وصلت آمنة إلى خط النهاية، ونزلت من فرسها بكل فخر، وحضنت أبويها، وطبطب الباشا على كتفيها، وأهداها الفرس، كما بارك لها عثمان انتصارها بكل روح رياضية.

ورجع الجميع إلى منزل الباشا لتناول الغداء، حيث جلس الباشا على رأس الطاولة التي كانت تزينها أشهى الأطباق التي حرص طباخه على إعدادها بطريقة جميلة ومبتكرة. أعجب بها الباشا الذي يعتبر طباخه فردًا من أفراد أسرته، ولقد وعده بمكافأة مجزية على مجهوده الكبير، ولقد سر الطباخ بذلك كثيرا، وجاء لهم بالشاي في أجمل الكاسات التي قالت (الخاتون) أم عثمان أنها ورثتها عن جدتها.

وبعد احتساء الشاي استأذن عبد الحميد باشا من الحضور وترخص بالتزاماته التجارية.

كان الناس يوقفون أحصنتهم يوم الجمعة أمام مسجد السلطان أحمد الذي كان قريبا من سرايا الباشا، وبعد أن توضأ عبد الحميد باشا دخل وصلى تحية المسجد، ثم استرخى مستمعًا إلى خطبة الجمعة التي كان يؤكد فيها الإمام على أهمية أن يكون المسلمون يدا واحدة لمواجهة السيل القادم من الحرب التي بانت علاماتها في العالم!!

وعندما عاد إلى منزله أخذ يفكر في موضوع خطبة الجمعة، وكيف يمكن له استثماره في مشروعه بمعمل الخياطة.

ولذلك في اليوم التالي تحدث مع الباشا عن عدة مواضيع، منها الحرب القادمة، وكيفية الاستفادة منها في تعويض الخسائر السابقة، وعرض على الباشا فكرة استغلال ظرف الحرب في ازدياد العمل على صناعة كميات أكبر في خياطة ألبسة الجيش.

عندها صمت الباشا لبرهة مفكرا بما قاله صديق عمره، ووعده بطرح حلول قريبا.

وبعد حوارهما نهض أبو عثمان، ومضى بخطى واثقة كما اعتاد، فهو يتمتع بشخصية قوية يتخللها بعض المرح، ولقد ساعدته شخصيته التجارية على اغتنام الفرص في تحقيق نجاح ساحق حقق من خلاله ثروة طيبة.

وبمناسبة نجاحاته جمع الأسرتين، وجمع في الحفلة عثمان وآمنة، وعندها قرر أبو عثمان خطبة آمنة لولده الوحيد، وكانت الخطوبة مفاجأة لها! مما جعلها تشعر بالخجل رغم ابتسامتها الأنثوية الجميلة.

وفرح عثمان بموافقتها كثيرا، وحدد يوم الخطبة الرسمي حيث يجلب أهل العريس الخاتم لتلبسه العروس.

ولكن في تلك الفترة حصلت المفاجأة التي لم يتوقعها عثمان، وهي عندما بلغ برسالة عن طريق البريد بأوان خدمته للعلم حيث تغيرت كل خططه المستقبلية.

حيث شاركت القوات العثمانية مع حليفتها قوات ألمانيا النازية في الحرب العالمية الأولى، وكان يتوجب على عثمان أن يذهب خارج الوطن لمشاركة إخوانه في تلك الحرب اللعينة!

فلملم أغراضه من أجل الذهاب للمشاركة فيها حيث عاش لحظات وداع خطيبته، تلك اللحظات المؤثرة جدا، والتي عاشاها عند الشجرة التي زرعاها معا.

❋❋❋❋❋

ملخص

تجمع رواية "السابع عشر من أكتوبر وعقد الياسمين" بين جيلين في (فنتازيا) دمجت بين الواقع والخيال، فتجدها واقعية مباشرة جدًّا في بعض نصوصها، وتجدها موغلة في عمق أعماق الخيال في نصوص أخرى.

وقد تحققت فيها دهشة الدهشة، حينما استطاعت أن تسافر بالمتلقي نحو بعض التواريخ المختلفة، فسارت به إلى ماضٍ كلما اقترب منه ذهبت به نحو ماض أكثر قدما منه، راوية في كل ذلك قصصًا مختلفة تدور أكثر أحداثها في تركيا.